توفيق الحكيم

بجماليون

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية)	١٩٣٦
٢ ــ عودة الروح (رواية)	١٩٣٣
٣ ــ أهل الكهف (مسرحية)	١٩٣٣
٤ ــ شهر زاد (مسرحية)	١٩٣٤
٥ ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية)	١٩٣٧
٦ ــ عصفور من الشرق (رواية)	١٩٣٨
٧ ــ تحت شمس الفكر (مقالات)	١٩٣٨
٨ ــ أشعب (رواية)	١٩٣٨
٩ ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية)	١٩٣٨
١٠ ــ حمارى قال لى (مقالات)	١٩٣٨
١١ ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)	١٩٣٩
١٢ ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة)	١٩٣٩
١٣ ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)	١٩٤٠
١٤ ــ حمار الحكيم (رواية)	١٩٤٠
١٥ ــ سلطان الظلام (قصص سياسية)	١٩٤١
١٦ ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة)	١٩٤١
١٧ ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات)	١٩٤٢
١٨ ــ بجماليون (مسرحية)	١٩٤٢
١٩ ــ سليمان الحكيم (مسرحية)	١٩٤٣
٢٠ ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل)	١٩٤٣
٢١ ــ الرباط المقدس (رواية)	١٩٤٤

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان ـــ لندن .

الشهيـــد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزيـــة) جمع محمـــود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعـات الجامعـة الأمريكيـة بالقاهرة ـــ ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـدر ونشر دار ماكملان ـــ لندن .

مقدمة

منذ نحو عشرين عاما كنت أكتب للمسرح بالمعنى الحقيقى .. والمعنى الحقيقى للكتابة « للمسرح » هو الجهل بوجود « المطبعة » !..

لقد كان هدفى وقتئذ فى رواياتى هو ما يسمونه « المفاجأة المسرحية » coup de théatre ، ولقد كنا نذكر هذه الكلمة متفاخرين ، حتى سرى خبرها بين شيوخ الممثلين من بقايا العهد القديم .. فكان بعضهم يلفظها محرفة تحريفاً مضحكاً ، لم أزل أذكر قول أحدهم — رحمه الله — وهو يوصينى بين آن وآن :

« أكثر فى دورى يا أستاذ من «الكونك تياتر » ! .. و لم أزل أذكر أيضاً قول مدير المسرح لى : « أتدرى كيف أصنع قبل أن أبتَّ فى مصير روايتك ؟ .. إنى أقرؤها فى البيت على أطفالى الصغار ، فإذا استمعوا إليها و لم يناموا فهى مقبولة » ! ..

ما الذى حدث لى إذن بعد تلك الأعوام ! .. كيف صرت إلى

هذه الخيبة ، حتى أكتب روايات إذا أصغى إليها الكبار ناموا ؟! ..

السبب بسيط : هو أنى اليوم أقيم مسرحى داخل الذهن ، وأجعل الممثلين أفكاراً تتحرك فى المطلق من المعانى ، مرتدية أثواب الرموز ! .. إنى حقيقة مازلت محتفظاً بروح الـ «coup de theatre » ولكن المفاجآت المسرحية لم تعد فى الحادثة بقدر ما هى فى الفكرة .. لهذا اتسعت الهوة بينى وبين خشبة المسرح ، و لم أجد « قنطرة » تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير : « المطبعة » ! ..

لقد تساءل البعض : أوَ لا يمكن لهذه الأعمال أن تظهر كذلك على المسرح الحقيقى ؟ .. أما أنا فأعترف بأنى لم أفكر فى ذلك عند كتابة روايات مثل « أهل الكهف » و « شهر زاد » ثم « بجماليون » ! ..

ولقد نشرتها جميعاً و لم أرض حتى أن أسميها « مسرحيات » ؛ بل جعلتها عن عمد فى كتب مستقلة عن مجموعة « المسرحيات » الأخرى المنشورة فى مجلدين ، حتى تظل بعيدة عن فكرة

التمثيل ! ..

لهذا دهشت وتخوفت ، يوم فكروا فى افتتاح « الفرقة القومية » عند إنشائها برواية « أهل الكهف » ، ولقد راجعت القائمين بالأمر حينما سألونى الإذن فى تمثيلها ، فلما طمأنونى تركتهم يفعلون ، دون أن أحضر تجربة من تجارب الإخراج ؛ بل لقد لبثت ممتنعاً عن مشاهدة تمثيلها حتى آخر ليلة .. فذهبت مخدوعاً بقول من قال إنها نجحت .. فماذا رأيت ؟ ..

رأيت ما توجستُ منه : أن هذا العمل لا يصلح قط للتمثيل ، أو على الأقل لا يصلح للتمثيل على الوجه الذى ألفه أغلب الناس ، فالممثلون يعرضون مواقف وأزمات لا يرى الجمهور أن مثلها مما يكتب للمسارح لإثارة العواطف !..

لقد خرجت تلك الليلة وأنا أشك فى عملى، وأومن بصواب رأى الناس ؛ فلقد وُجد المسرح ليشهد فيه النظارة صراعا يستثير التفاتهم ويهز أفئدتهم : صراع هو فى المسرح الدموى ، بين درع ودرع ، أو بين ثور ورجل .. وهو فى المسرح التمثيلى بين عاطفة وعاطفة ! ..

هكذا كان المسرح دائما ويكون . وإن الناس ليتأثرون دائماً بالعواطف التى يحسونها فى حياتهم الواقعية ؛ كالحب والغيرة ، والحقد والانتقام ، والعدالة ، والظلم ، والصفح ، والإثم ! ..

لكن ماذا هم يشعرون أمام صراع بين الإنسان والزمن ، وبين الإنسان والمكان ، وبين الإنسان وملكاته ؟ .. هذه الأشياء المبهمة والأفكار الغامضة أتصلح لهز المشاعر بقدر ما تصلح لفتق الأذهان ؟ ..

هكذا انتهى بى الأمر إلى السعى لدى القائمين بشأن « الفرقة القومية » ، حتى أوقفوا تمثيل « أهل الكهف » إلى اليوم ! ..

أترى ينبغى لمثل هذه الروايات إخراج خاص فى مسرح خاص : إخراج يلتجأ فيه إلى وسائل غامضة ؛ من موسيقى وتصوير ، وأضواء وظلال ، وحركة وسكون ، وطريقة إيماء وإلقاء ! .. وكل ما يحدث جواً يهمس بما تهمس به تلك المعانى المطلقة ؟ .. ربما ، ولعلى كنت أقول لا فى هذا أيضاً ، لو لم أعرف رأى Lugnè- Poe فى رواية « شهر زاد » .. لقد كتب حقاً يقول :

« Le conte a fort bien dit, mais cela meriterait detre presenté a la scène francaise avec goût et intelligence : Le poeme reste si beau .. et si profond . »

هذا الفنان يدرك المعضلة فى مثل هذه الروايات .. كل الصعوبة فى الحقيقة هى فى إبقاء الشعر أو الفلسفة يشيعان فى جو المسرح كما شاعا فى جو الكتاب .

وهذا ما فعله هو نفسه فى روايات « إبسن » وهو أول من أخرجها للفرنسيين ..

وهذا أيضاً ما فعله فى رواية « سالوميه » « لأوسكار وايلد » وهو أول من أخرجها للعالمين .. وكان « أوسكار وايلد »يومئذ فى السجن .. فلما علم أن « Lugne - poe » شارع فى إخراج روايته لم يكتم فرحه ، ففاض به على صفحات كتابه De Profondus ...

من سوء حظى أن الشيخوخة كانت قد أقعدت هذا الفنان العظيم وأقصته عن المسرح منذ زمن بعيد .. أتراه كان يخرج « شهر زاد » لو أنه قرأها وهو فى نشاطه الفنى ؟ .. من

يدرى ؟ .. ربما كان يفعل ... ولو أنه فعل لكان هو المجد ! .. بل خير منه عندى هو الفرح ، أن أرى تلك المعانى الحائرة ، والألفاظ الطائرة ، والأشخاص التى تضع قدما على الأرض وأخرى فى الهواء ؛ — قد استقرت كلها داخل إطار ، وأى إطار من الذوق والفهم » ! .. ولكن القدر — على الرغم من جهاد وكد كرست لهما حياة لم أنعم فيها بشىء قط غير متعة الفن وحدها ؛ ليستكثر على هذا الفرح الفنى الآن ، وربما سمح به يوما .. ولكن بعد فوات الأوان ! ..

وأخيراً .. فإن قصة « بجماليون » هذه تقوم على الأسطورة الإغريقية المعروفة ، ولعل أول من كشف لى عن جمالها تلك اللوحة الزيتية « بجماليون » و « جالاتيا » بريشة «جان راوكس » المعروضة فى « متحف اللوفر » .. ما إن وقع بصرى عليها منذ نحو سبعة عشر عاما ، حتى حركت نفسى ، فكتبت وقتئذ قطعة « الحلم والحقيقة » [1] ، وكنت آمل أن أعود يوماً إليها ، فأضع كل ما خامرنى منها فى عمل أكبر وأرحب ! ..

---

(١) راجع كتاب «عهد الشيطان» .

ومرت الأيام ، واتجهت إلى « قصص القرآن » و « ألف ليلة وليلة » ، وكدت أنسى قصة اليونان .. حتى ذكرنى بها « برناردشو » يوم عرضت مسرحيته « بجماليون » فى شريط من أشرطة السينما منذ عامين ! ..

عندئذ تيقظت فى نفسى الرغبة القديمة ، فعزمت على كتابة هذه الرواية .. وقد فعلت ، وأنا أعلم أن هذه الأسطورة قد استخدمت فى كل فروع الفن على التقريب ، ولا بد أنها أفرغت فى مسرحيات عدة فيما أعتقد ، وإن كنت لا أعرف غير قصة الكاتب الأيرلندى ! ..

إنى أعالج إذن أسطورة « مطروقة » فى الآداب والفنون العالمية .. ومع ذلك من يدرى ؟ .. ربما لحظ بعض النقاد القراء أن « أهل الكهف » المقتبسة عن القرآن ، و « شهر زاد » المستلهمة من « ألف ليلة وليلة » و « بجماليون » المنتزعة من أساطير اليونان ، ليست كلها غير ملامح مختلفة فى وجه واحد ! ..؟

ت . ا

(تجرى القصة كلها فى منظر واحد ، هـو بهو فى دار « بجماليون »، وأهم ما فى البهو نافذة كبيرة تكشف من خلفها عن غابة ذات أشجار وأزهار غريبة ، ثم بـاب يـؤدى إلى الخارج ، وآخر يؤدى إلى داخل الدار .. وفى أحد الأركان ستار أبيض من حرير ..

هذا المنظر ثابت فى الفصول الأربعة ، على أن هنالك مع ذلك أشياء تتغير فى كل فصل : تلك هى أضواء الغابة وظلالها وسكونها وهمساتها ! ..)

الفصل الأول

(ظلام الليل قد بددته أشعة القمر الطالع فى سماء الغابة .. ليس فى البهو أحد غير الفتى « نرسيس » .. وهو جالس أمام الستار ..

(موسيقى وأصوات غناء يحملها النسيم من بعيد ، ترقص على أنغامها فى الغابة « جوقة » من راقصات تسع جميلات ؛ كأنهن « عرائس الخيال » التسع ، وهن يرمقن النافذة ... ويقتربن منها رويدا رويدا ...)

* * *

الجوقة : (فى همس خارج النافذة) نرسيس ! ..

نرسيس : (**يلتفت دون أن ينهض**) اذهبن ! .. اذهبن قبل أن يأتى فيبصركن ها هنا ! ..

الجوقة : نرسيس ! .. الليلة عيد ڤينوس !

نرسيس : أعرف .. أعرف ! .. اذهبن قبل أن يأتى ! ..

الجوقة : ذلك الذى يعيش بعيداً عن المرأة ! ..

نرسيس : إنه آت عما قليل ! ..

الجوقة : ذلك الذى حرم الحب ! ..

نرسيس : إن غيبته لن تطول ! ..

الجوقة : ذلك الذى أنكرته ڤينوس ! ...

(**الباب يطرق** ...)

نرسيس : ها هو ذا ! .. ها هو ذا ! ..

الجوقة : بل تلك امرأة من المدينة رأتك فأحبتك ، وأقسمت أن تكون لها وتكون لك ! ..

المرأة : (**تفتح الباب فى رفق ، وتطل برأسها قائلة فى ابتسامة**) **أتأذن لى فى الدخول** ؟ ..

نرسيس : (**فى عنف**) لا ! ..

المرأة : (**تدخل ، وتغلق خلفها الباب**) شكراً ! ... إنى كنت أتوقع هذا الجواب ! ...

نرسيس : إنى قلت لا ! ..

المرأة : (**وهى تدنو منه**) وأنا لم أنتظر منك جوابا غير لا ؛ لأن من الحماقة أن أتوقع غير هذه الكلمة من فمك .. ولكنك لن تقوى على منعى من اقتحام بابك ، والجلوس هكذا إلى جانبك ! ..

(**تجلس ناظرة خلفها** ... ...)

عند هذا الستار الحريرى ... عجباً ! .. ما جلوسك هذا ؛ كأنك تحرس شيئاً خلف الستار ؟ .. عفواً !.. هذا لا شأن لى به .. يجب أن أبدأ فأقول لك إنى أدعى إيسمين ، وإنى باقية معك هنا الليل إذا شئت ، واليوم إذا أردت ، والشهر إذا رغبت ، والعام إذا ...

نرسيس : (**يكاد ينفجر غيظاً ، ولا يجد الألفاظ**) .. ؟!

الجوقة : (**فى النافذة ضاحكات**) مرحى ! ... مرحى ! ...

نرسيس : (**للجميع**) ألن تنصرفن عن هذا المكان ؟ ...

الجوقة : إنما جئنا الليلة لنمضى بك إلى المهرجان ، حيث يحرق البخور وتقدم القرابين ! ..

إيسمين : إن أنفه الدقيق لا يطيق رائحة الدخان ، ومزاجه الرقيق لا يحتمل منظر الدماء ! ..

الجوقة : (**لنرسيس**) أنت الليلة لنا ، فلتختر من بيننا ! ..

إيسمين : إنه لا يختار .. أنسيتن أنه نرسيس ؟ .. إنه اعتاد أن يرى الجميلات يحملن حبه ؛ كما تحمل شجيرات الكرم العناقيد ! ..

الجوقة : نرسيس ! .. تعال معنا ونحن نعصر لك من عناقيدنا خمرا تبعث النشوة فى روحك النائم !

نرسيس : لا أستطيع الذهاب معكن ... ألا ترين أنى فى شغل عنكن ؟ .. هل فى مقدورى أن أتركها وحدها ؟ ..

(**يلتفت إلى الستار ...**)

الجوقة : من هى ؟ ... من هى ؟ ..

نرسيس : زوجته ...

الجوقة : (**فى ضحك**) إنك أحمق ! ..

إيسمين : أنسيتن أنه يشبه نرسيس الأساطير ؟! .. إن له جماله وحمقه ... إنه ليس لكُنَّ ، ولستُنَّ له .. (**لنرسيس**) أهو أيضاً الذى أطلق عليك هذا الاسم ؟ ...

الجوقة : منذ الصغر .. منذ التقطه وليداً بين مروج هذه الغابة ... ومع ذلك لم يفلح فى أن يجعل منه أكثر مما نرى وترين ؟ ...

إيسمين : اتركنه لى إذن ! ... ولا تضيعن مع مثله وقتكن ! .. (**لنرسيس**) إنى أحبك يا نرسيس على الرغم من ذلك ! .. أحبك ...

الجوقة : مرة أخيرة : ألن تأتى معنا إلى المهرجان ؟ ...

إيسمين : أتنتظرن منه الحركة والرغبة ؟ ... أنسيتنَّ أنه زهرة برية من أزهار المروج ، ينبغى أن تقتطف اقتطافاً ؟ ...

الجوقة : فليختطف إذن اختطافاً ! ...

(**يحاولن أن يتسلقن النافذة ليدخلن عليه فى**

الدار ... ...)

نرسيس : (**صائحاً**) ويلاه ! .. ويلاه ! ... إيسمين ! ...
إذا كان يعنيك أمرى فادفعى هذا السيل عنى ! ...

الجوقة : (**تقف فى ضحك**) تخشى على الزهرة أن يغرقها السيل ! ...

نرسيس : إيسمين ! ... إذا كنت تطمعين فى حبى ...

إيسمين : اخترنى إذن ! ..

نرسيس : قد فعلت ! ...

الجوقة : لقد اختار إيسمين ! ..

إيسمين : نعم ، لقد اختارنى !... اذهبن الآن إلى مهرجان ڤينوس حيث يحرق البخور ، وتقدم القرابين .. فقد تعثرن على بغيتكنَّ هناك ! ...

(**جوقة الجميلات تنصرف وهى ترقص**)

نرسيس : (**يلتفت إلى إيسمين الجالسة**) وأنت ؟ ..

إيسمين : أنا ؟ ... معك باقية ! ..

نرسيس : ألا تذهبين معهن ؟ ..

إيسمين : لن أذهب إلا معك ..

نرسيس : أنت تعلمين أنى باق ها هنا ...

إيسمين : ما يبقيك ها هنا ؟ ... زوجته ؟ ...

(تنهض وتدنو من الستار الأبيض)

نرسيس : (**صائحاً**) ابتعدى ! ... ابتعدى !

إيسمين : (**تتراجع**) ألا يباح لأحد أن يراها ؟ ...

نرسيس : لا ! ...

إيسمين : أهو عليها غيور ؟ ...

نرسيس : نعم ! ...

إيسمين : جمالها — فيما يقال — لا يمكن أن يحلق إلى مثاله خيـال! ...

(تعود إلى محاولة الدنو من الستار الأبيض ... ...)

نرسيس : لا تقربى الستار ! ..

إيسمين : (**ترجع وتقبل عليه**) صف لى حسنها !...

نرسيس : أنا ؟! ..

إيسمين : صدقت ... لست أنت الذى يطلب إليه ذلك ...

اذكر لى على الأقل اسمها ! ...

نرسيس : جالاتيا ! ..

إيسمين : (**ناظرة إلى الستار ...**) جالاتيا الجميلة ! ... هكذا إذن مقامها دائماً خلف الحجب ! ...

نرسيس : لا ينبغى أن يقع على جسدها الناصع ذرة من غبار ! ...

إيسمين : (**كالمخاطبة نفسها**) وهذا موكول إليك بالطبع ... ما أبرعكَ سادنا ؛ كأغلب سدنة المعابد ! ... يُعنوْن بذرات ترابها ، ولا يرون قبسات روحها ؟! ...

(**تشرئب بعنقها لتنظر من فرجة بالستار**)

نرسيس : ماذا تصنعين ؟ ...

إيسمين : (**دون أن تلتفت إليه**) ما هذا الشذا الطيب ؟ .. أهو عطر مما ينثره حواليها ؟ .. وما هذا البريق العجيب ؟... أهو قرط من لؤلؤ يزين أذنيها ؟ .. وما هذا السرير المفروش ، ذو الطنافس الفاخرة والوسائد المصنوعة من ناعم الريش ، حتى لا يَجْرح عاج

خديها ! ... وهذه الثياب بالذهب موشاة ، وبألوان « فينيقيا » مصبوغة !.. وهذه الهدايا الرائعة ، من عنبر ومرجان وأصداف لامعة !...

نرسيس : كيف علمت أن كل هذا لها ؟...

إيسمين : ما أشد حمقك يا نرسيس الجميل ! .. كل الناس فى المدينة تتحدث بغرام بجماليون ! ..

نرسيس : ماذا يقولون ؟ ...

إيسمين : يقولون إنه مجنون ! ...

نرسيس : مجنون ؟! ..

إيسمين : ربما كان لهم بعض العذر ! ... ماذا ترى الناس يسمون رجلا يصنع بيديه من العاج امرأة ، يقع فى حبها ، ويناجيها ويدللها ويناغيها ويدعوها زوجته ، ويغمرها بكل ما تصبو إليه المرأة من ترف ! ...

نرسيس : (**يلتفت إلى الباب فى قلق**) لا تشغلينى بالحديث أكثر من ذلك ! ..

إيسمين : إنه ليسعدنى أن أعلم أن حديثى يشغلك .. ويكاد

يسرك فيما أرى ! ..

نرسيس : أخشى أن يعود فيراك هنا ! ...

إيسمين : لن يعود الآن ! ..

نرسيس : كيف عرفت هذا أيضاً ؟ ..

إيسمين : لقد أبصرته عند معبد ڤينوس ، أمام المذبح ، يعد لها القرابين .. هذا الذى لم يحفل قط يوماً بڤينوس وعيدها .. لأمر ما يتقرب اليوم إليها ...

نرسيس : لأمر ما ؟ ...

إيسمين : لعله ينوى أن يسألها شيئاً ؟! ...

نرسيس : إنه لم يسأل قط إلها غير أپولون ! ..

إيسمين : وهل يغنى أپولون عن ڤينوس ، مانحة الحب والحياة ؟! ..

نرسيس : وهل تغنى ڤينوس عن أپولون ، مانح الفن والفكر ؟!

إيسمين : لا تكفر بڤينوس يا نرسيس ، وهى التى منحتك الجمال ، وجعلتك معشوق النساء ...

نرسيس : أجل ؛ ولكن أپولون لا يريد أن يمنحنى شيئاً ...

إيسمين : يا للعجب ! .. أنت وبجماليون طرفا نقيض .. عند أحدكما ما ليس عند الآخر .. لعل هذا ما يربط أحدكما بالآخر ! ..

نرسيس : إنه يقول لى أحيانا : لا تتركنى يا نرسيس ، فأنت تكمل ما بى من نقص ! ... لكنه يقول أيضاً أحيانا : إنك يا نرسيس الشطر الجميل العقيم للأشياء .. أنت الصدَفة البراقة التى لا تحوى اللؤلؤة ! ...

إيسمين : لقد صدق .. إنى ما عجبت قط لحظة ... إن مثلك لا يرى .. لكم أتألم لك ! ..

نرسيس : أحقاً تتألمين لى يا إيسمين ؟ ...

إيسمين : أتشك فى ذلك يا نرسيس ؟ ...

نرسيس : كلامك هذا غريب على أذنى ...

إيسمين : أعلم ذلك .. لهذا آمنت كل الإيمان بأن دواءك فى يدى ! ...

نرسيس : ماذا تستطيعين لى ؟ ...

إيسمين : أعطنى الصدفة ، أتناولها بين راحتى لأفتحها

وأملأها ...

نرسيس : تملئينها ماذا؟ ..

إيسمين : هذا من شأنى .. أطعنى ودعنى أجعلك تبصر وتحيا ! ...

نرسيس : (**كالمخاطب لنفسه**) أبصر وأحيا ؟! ..

إيسمين : نعم ! .. هذه الزهرة المقفلة ، لا بد لها من قطرات الندى لتتفتح ...

نرسيس : ومن أين تتساقط هذه القطرات ؟ ...

إيسمين : من عينى امرأة ! ..

نرسيس : لست أفهم ما تعنين ! ...

إيسمين : انهض واتبعنى ! ..

نرسيس : الآن ؟ ...

إيسمين : نعم ... الآن ...

نرسيس : وجالاتيا ؟ ...

إيسمين : دع هذا التمثال ... إنه لن يتحرك . ولن يهرب ! ..

(**تجذبه من يده جذباً قوياً** ...)

نرسيس : مهلا ! .. مهلا ...

إيسمين : هلم .. هلم .. أيتها التماثيل الجامدة ... شيئاً من الحياة .. اترك الساعة دار هذا المثال واتبعنى .. يا نرسيس الجميل ! ...

(تقوده إلى الخارج ، وهو ينظر إلى الستر خلفه قلقاً ثم يغلقان خلفهما الباب ويذهبان)

* * *

(يتغير ضوء الغابة ؛ فقد التمع فى النافذة نور سماوى وهبطت من عليائها مركبة ڤينوس تجرها بجعتان ، وهى فيها مع أپولون .. وقد أمسك بيدها ؛ كأنه يقودها ، ثم يتركان المركبة ويدخلان فى خفة الهواء ورقة النسيم من النافذة إلى داخل الدار ...)

* * *

ڤينوس : عجباً لك يا أپولون ! ... ما هذا الخاطر الذى بدا لك ؟ ... الليلة عيدى ومهرجانى ، وأنت تنتزعنى من ساحة معبدى الزاخرة بالجموع لتأتى بى إلى هنا ..

إلى دار رجل .. خاوية ... خالية ..

أپولون : (**يشير لها إلى الستار الأبيض**) خاوية .. خالية ؟! .. كلا يا ڤينوس ! .. انظرى خلف هذا الستار ! ..

ڤينوس : ماذا خلف هذا الستار ؟ .. تمثال من عاج ! ..

أپولون : وأى تمثال ! ... تأملى ملياً يا ڤينوس ! ...

(**يكشف الستار ، فيظهر خلفه التمثال فوق قاعدته** ...)

ڤينوس : امرأة ! ...

أپولون : بل ما ترين أجمل كثيراً من امرأة ، وأكمل كثيراً من امرأة ! ...

ڤينوس : (**تتأمل التمثال وتهمس لنفسها فى إعجاب**) كيف ارتفع إلى هذا ...

أپولون : (**فى تفاخر**) هنا السر ! ...

ڤينوس : بشر هالك ! ...

أپولون : ومع ذلك ...

ڤينوس : (**وعيناها إلى التمثال**) أصبت ! ... ما اسم هـذا الشىء ؟ ... جالاتيا ؟! ..

أپولون : هذا الشىء ؟! ... إنك لا تجسرين أن تسميه امرأة .. أنت أيضاً ترين جالاتيا أجمل كثيراً من امرأة ، وأكمل كثيراً من امرأة ! ...

ڤينوس : (**تدنو من التمثال وكأنها تريد أن تلمسه**) جالاتيا ! ...

أپولون : أتلمسينها لتتحققى أن حرارة الحياة لا تجرى فى شرايينها ! ...

ڤينوس : ماذا ينقصها حقاً غير الكلام ؟! ..

أپولون : إنى أسمع مع ذلك كلاماً خالداً منطبعاً على شفتيها الجامدتين ! ..

ڤينوس : أكاد لا أصدق أن هذا العمل يخرج من بين أصابع فانية ! ...

أپولون : هؤلاء البشر يا ڤينوس يمتازون عنا — نحن الآلهة — هذا الامتياز : فى طاقتهم أحياناً أن يسموا على

أنفسهم .. أما نحن فلا نستطيع أن نسمو على أنفسنا ..
إن قوة الفن أو ملكة الخلق عند هؤلاء لقادرة أحياناً أن توجد مخلوقات جميلة ليس فى إمكاننا نحن الآلهة بأن نأتى بمثلها أو نجاريهم فى شأوها ... لأنهم أحرار فى السمو ، ونحن سجناء فى النواميس ! ...

ڤينوس : (**كالمخاطبة لنفسها**) قوة الفن ! ... ما قوة الفن تلك التى يستطيع بها الهالك أن يخلق الخالد ؟! ...

أپولون : (**باسماً فى خيلاء**) هنا سرنا ! ...

ڤينوس : لست أذكر شيئاً عن هذا الرجل ! ...

أپولون : پجماليون ، هو من عبادى أنا ! ..

ڤينوس : فهمت ... لهذا لم ألتفت إليه .. لقد حرمته هباتى ، فعاش كما ترى بعيداً عن حب المرأة ! ...

أپولون : لقد حرمته ، لكن ها هو قد صنع بيديه امرأة ، وخلق بنفسه لنفسه الحب ! ...

ڤينوس : ماذا تعنى يا أپولون ؟ ... تعنى أن جالاتيا هذه ليست إلا تحديا لى ؟ .. وأن هذا الأثر ، ليس إلا تمثال

الانتصار عليّ ، يقيمه فى وجهى هذا البشر ؟ ...
الويل له .. الويل له ..

أپولون : لا تغضبى يا ڤينوس ! .. لست أظن هذه الفكرة جالت بخاطره ... هؤلاء البشر ينظرون إلينا فى أكثر الأحيان نظرة التقديس ، حتى انتصارهم علينا لا يشعرون به ، وهم يسمونه انتصاراً على أنفسهم ! ..

ڤينوس : (**ترمق التمثال فى سخط وازدراء**) جالاتيا ! ..
هه ! ... هى بعد ليست أكثر من تمثال عاجى !...

أپولون : لا تزدريها يا ڤينوس ! ... إنها مع ذلك خليقة بحبه ! ...

ڤينوس : ماذا تفهم أنت من الحب ؟ ...

أپولون : أفهم منه ولا ريب غير ما تفهمين منه أنت ! ...

ڤينوس : أپولون ، إنى ذاهبة ... لدىّ عمل أجدَى علىّ ... عبادى ينادوننى فى ساحة المهرجان ! ...

أپولون : لا أود أن يقع فى نفسك شىء من پجماليون ... إنه ..

(**يحمل النسيم صوتاً آتياً من بعيد**)

ڤينوس : صه .. ما هذا ؟! ..

أپولون : هذا ولا ريب أحد عبادك يناديك وهو يقدم إليك القربان ! ..

ڤينوس : (**تصغي ملياً**) ليس من عبادى .. لم أسمع هذا الصوت من قبل ! ..

أپولون : (**يصغي**) يخيل إلىّ أنا أنى أعرف صاحب هذا الصوت ! ...

(**الصوت يدنو ، وتتضح ألفاظه** ...)

الصوت : (**من بعيد**) ڤينوس ! .. ڤينوس ! ... أيتها الإلهة ذات العرش المصنوع من الذهب ، المطعم بالياقوت والفيروز ! .. يا ابنة جوبيتر العظيمة ! ... يا من تلبين نداء عبادك وأنت تشقين بمركبتك الذهبية سحب السماء ، مركبتك التى تجرها بجعتان رشيقتان خفيفتان ، تضربان بأجنحتهما اللطيفة أمواج الفضاء ... « ڤينوس » اسمعى ندائى ، وأجيبى دعائى! ..

فينوس : من هذا ؟ ..

أپولون : هذا هو پجماليـون ..

فينوس : (**فى دهشة وتيـه**) پجماليون ! .. عجبـاً ! ... عجباً ! ... ماذا يريد منى أنا الآن؟؟ ..

پجماليـون : (**من بعيد**) فينوس؟ .. فينوس ؟ ... أيتها الجميلة الآمرة على عرش الجمال ! ... يا من ولدت على زبد موجة من أمواج البحر ، فمن بين كنوزه الرائعة أنت أبهى لؤلؤة ! .. ابسمى لى من شفتيك الإلهيتين ! ..

فينوس : (**فى رفق**) ..پجماليون! ... ماذا يريد منى هـذا الفنان ؟ ...

پجماليون : (**من بعيد**) فينوس ! .. فينوس !... أيتها المشرقة بين الإلٰهات .. يا من توقدين بأناملك النورانية فى قلوب الناس مصابيح .. أصغى إلى رجائى ! ..

فينوس : (**فى عطف**) إنى مصغية .. مـاذا يريـد منـى پجماليون ؟...

أپولون : (**فى خبث**) عجباً ! ... أرى ثناءه عليك قد محا

للفور غضبك عليه ! ..

ڤينوس : إنه رجل يلتمس رعايتى ! ...

أپولون : إنها المرأة دائماً متيقظة فى أغوار نفسك الإلٰهية ! ...

ڤينوس : (**لا تلتفت إليه وتولى وجهها شطر الصوت هامسة**) إنى مصغية يا پجماليون ! ...

پجماليون: (**من بعيد**) ڤينوس ! ... ڤينوس ! ... أيتها السخية بالهبات ! ... امنحينى هبة واحدة : انفخى حرارة الحياة فى تمثال جالاتيا ! ... زوجتى جالاتيا العاجية !... أعطيها حياة يا إلٰهة الحب والحياة !! ...

ڤينوس : (**لأپولون**) أسمعت ما يريد ؟ ...

أپولون : (**بلا حراك**) سمعت ! ...

ڤينوس : بم تشير علىّ ؟...

أپولون : (**فاترا**) ليس من عادتى أن أتدخل فيما لا يعنينى ! ..

ڤينوس : عجبا ؟ ... ما هذا الفتور منك !... أيسوؤك أن يتوجه إلىّ پجماليون بالدعاء ...

أپولون : إنى ذاهب ! ... ابْقَى أنتِ هنا إذا شئتِ !...

فينوس : لا أود أن يقع فى نفسك شيء من بجماليون ... إنه ...

أبولون : إنه يريد الحب والحياة !

فينوس : ولماذا نأباهما عليه ؟ ... سأمنحه ما أراد ! ...

أبولون : امنحيه إذن ! ... ولننظر ما سيكون ! ...

فينوس : (**تتقدم نحو التمثال رافعة يديها إليه هاتفة**) : بأمرى أيتها الدماء التى سفكتها لى قرابين ، اجرى قانيةً فى هذه الشرايين ! ... بأمرى أيتها النار التى حرق لى فيها البخور ، اجعلى فى جسدها الحرارة وفى عينيها النور ! ...

(**التمثال يتحرك قليلا** ....)

بأمرى يا جالاتيا الحية ، انعسى قليلا الآن ، وانتظرى حتى يوقظك بالقبلات زوجك بجماليون ...

أبولون : هلمى بنا ... إنه آت ... إنه يقترب ! ...

فينوس : فلنبق هنا حتى نرى ! ...

أبولون : ألا نخرج من الدار ونشاهد من خلف النافذة ؟ ...

فينوس : لا بأس ... هلم ...

(فاصل موسيقى)

(يخرجان فى أثنائه من النافذة كما دخلا ويبقيان خلفها يشاهدان .. ثم يفتح باب الدار ويدخل بجماليون ونرسيس ......)

بجماليون: ألم أوصك أن تبقى ها هنا ، حتى أعود !؟ ...

نرسيس : أغرتنى إيسمين ! ...

بجماليون: آه للنساء ! ... النساء ! ...

نرسيس : لقد أغلقت خلفى الباب ! ...

بجماليون: (**ينظر إلى الستار**) وهذا الستار من الذى كشفه إذن ؟ ...

ڤينوس : (**همساً لأبولون خلف النافذة**) يا لحمقنا يا أبولون ؟ ... لقد نسينا أن نسدل الستار كما كان ...

نرسيس : (**لبجماليون**) النافذة مفتوحة ، لا ريب إنه هو الهواء ! ..

أبولون : (**همساً لڤينوس**) أرأيت يا ڤينوس ؟ ... هؤلاء البشر ، يجدون دائماً الأسباب التى يعللون بها

حماقاتنا ! ...

نرسيس : (**لبجماليون**) أأسدل الستار كما كان ؟ ...

بجماليون: (**يجلس شارد اللب**) نعم ! ...

نرسيس : ثق أنى اتبعت ما أوصيتنى به ... فلن تر ذرة من تراب على جسدها الناصع ! ...

(نرسيس يسدل الستار على جالاتيا وهو ملتفت فى قلق واستطلاع إلى بجماليون المطرق الساهم ... ...)

بجماليون: نعم ...

نرسيس : ماذا بك ؟ ...

بجماليون: اذهب الآن إلى شأنك ... إلى المرأة التى أخذتك من يدها الساعة فى الطريق ... لا حاجة بى إليك الآن ! ...

نرسيس : ولكنك ! ...

بجماليون: قلت لك اذهب ... اذهب إلى جميلاتك ... لا عمل لك الآن هنا ؟ ...

نرسيس : وجهك شاحب ...

بجماليون: هو التعب .. من طول الوقوف فى ساحة المهرجان ! ...

نرسيس : بل الأمر أشد من ذلك خطراً ! ...

بجماليون: لا تحاول أن تعرف ما بى ! ...

نرسيس : لماذا ؟ ... لم لا تخبرنى ؟ ...

بجماليون: هنالك أشياء لا تستطيع أن تفهمها ..

نرسيس : ولكنى أستطيع أن أصغى إليك ! ...

بجماليون: وما نفع هذا لى ؟ ...

نرسيس : لقد علمت أنك تسأل ڤينوس شيئاً ! ..

بجماليون: (**يرفع رأسه فجأة**) ما هو ؟ ..

نرسيس : لست أدرى بعدُ ما هو !! ...

بجماليون: (**يعود إلى الإطراق**) دعنى الساعة وحدى ! ...

نرسيس : لا يجمل بى أن أتركك وحدك وأنت على هذه الحال ...

بجماليون: وبعد يا نرسيس ... لماذا تجشمنى الكلام فى غير

طائل .. وأنا فى حاجة إلى الراحة ؟! ..

نرسيس : أنت تعلم أنى لا أود إتعابك ... ولا أحب أن أراك تعباً ...

بجماليون: (**كالمخاطب نفسه**) إنى تعب .. إنى حقاً تعب ... نعم لقد تعبت .. ليس فى مقدورى أن أقضى حياتى كلها كذلك ! ..

نرسيس : كذلك ؟ .. كيف ؟! ..

بجماليون: أنفق عمرى كله أخلقُ ، دون أن أتلقى شيئاً ؟ ... أفاهم أنت معنى ذلك ؟ ... ما دمت تريد أن أخبرك بما أنا فيه .. فلأخبرك .. هأنذا أقول لك إنى تعب .. لا أستطيع أن أمضى فى هذه السبيل ... أخلق وأخلق وأخلق .. أخلق الجمال ، وأخلق الحب ، وأخلق كل ما تطلبه نفسى ! ...

كلا لقد تعبت .. أريد الآن أن أشعر أن هنالك من يخلق لى ، ويعطينى ، ويحدب علىَّ .. ويمنحنى ! .. ما أعظم الضعف أحياناً .. الضعف ! ... هذا الشىء

الإنسانى الجميل ، الذى حرمتم إياه أنتم أيتها الآلهة ! ... لأول مرة أحس كاهلى ينوء تحت وَقْرِ الخلق وبرودته ووحدته وقسوته ! ... ولأول مرة أرثى للآلهة الذين لا يعرفون — طول الأبد — غير المنح والعطاء ، دون أن يتلقوا شيئاً غير دخان من البخور وهباء من الثناء ! ...

نرسيس : (**بعد لحظة**) لست أدرك بعدُ ما بك ! ...

بجماليون: قلت لك إنك لن تفهم .. إليك عنى .. اذهب وأغلق الباب خلفك ! ...

نرسيس : سأعود مع الصباح ! ...

(**يخرج ويغلق خلفه الباب ...**)

أبولون : (**همساً لڤينوس**) إنه يخشى أن يصير إلهاً ؛ فلقد شعر بحقيقتنا التعسة ...

ڤينوس : (**همساً**) صه ! .. جالاتيا تتنهد ! ..

(**يسمع صوت تنهد خلف الستار ...**)

بجماليون: (**يرفع رأسه**) مَنْ هنا ؟ ... نرسيس ؟ .. ألم تذهب

بعد ؟ ...

جالاتيا : (**خلف الستار**) آه ...

بجماليون: (**ينهض**) نرسيس !... نرسيس ! ... من الذى يتنهد هنا ؟! .. (**يتجه إلى الستار ، ويدخل خلفه ، ثم لا يلبث أن يصيح :**) يا لرأسى المكدود !... إنه المس ... إنه الخَبَل !... هذا مستحيل ! ... هو الوهم ! ... هو الوهم !... ومع ذلك ... ترتجفان ! .. شفتاها العاجيتان ترتجفان .. ترتجفان ... ترتجفان ! ...

أبولون : (**همساً لفينوس**) أسرعى ! ... أوحى إليه بالحقيقة ، قبل أن يجن من صدمة الحدث ! ...

فينوس : (**هامسة لبجماليون المختفى خلف الستار**) إنها حية ... قَبِّلْها ! ...

بجماليون: (**خلف الستار كالمخاطب نفسه**) حية ! ... أترى فينوس قد استجابت ؟ ... نعم ... نعم فينوس ؟ ... جالاتيا تنبض بالحياة ... جالاتيا زوجتى

جالاتيا : (**من خلف الستار**) يوقظني بالقبلات زوجي بجماليون ؟! ...

بجماليون: (**من خلف الستار**) نعم ... زوجك بجماليون ... شكراً لڤينوس ! ...

(**يظهران معاً من خلف الستار**)

جالاتيا : (**تتمطى**) آه ! ... لقد نمت طويلا ! ... لكأنى أستيقظ من حلم طويل كاد ينسيني الحقيقة ... (**تنظر حولها**) أهذه دارنا ؟ ... إنها جميلة ... إنى أعرفها ! ...

بجماليون: (**ناظرا إليها كالمسحور**) شكراً لڤينوس ! ...

جالاتيا : (**تلقى نظرها إلى النافذة**) وهذه النافذة الكبيرة أعرفها أيضاً ، لكأنها قلب كبير يتفتح على كنوز من روائع هذه الغابة الساحرة ... ما أجل هذا المكان ! ..

بجماليون: شكراً لڤينوس ! ..

جالاتيا : (**تلتفت إلى بجماليون**) لماذا لا تكلمنى ؟ ... لماذا

تحدجنى بهذه النظرات ؟ ... ألم تكن تعرفنى من قبل ؟ ...

بجماليون: كيف لا أعرفك ؟! ...

جالاتيا : أنا أيضاً أعرفك ... منذ ... منذ ... دائماً ... لكن ... يا للعجب ! ... لست أذكر متى ، ولا أين ؟ ...

بجماليون: (**ينظر إليها ملياً**) جالاتيا ! ...

جالاتيا : بجماليون ! ... لاتطل إلىّ النظر هكذا ! ... زوجى ... إنك تخيفنى ! ... إنك تنظر إلىّ كما لو كنت ترانى أول مرة !! ...

بجماليون: اجلسى هنا ... إلى جانبى ...

(تجلس إلى جانبه ... فيمر بيده على كتفها وذراعها ؛ كأنه يجس تمثالا)

جالاتيا : عجباً لك ! ... ماذا بك ؟ ... ألا تعرف أن لى كتفين وذراعين ؟ ...

بجماليون: (**كالمخاطب نفسه**) كيف لا ؟ ... أعرف أن لك

(بجماليون)

هاتين الكتفين، وهاتين الذراعين ! ...

جالاتيا : كلمني قليلا كلاما أفهمه ! ...

بجماليون: (**وهو يتأملها كالمشدوه**) وهذا الفم الذى ينطق ... وهذه العين التى ترنو ... وهذا الحاجب الذى يعلو ... كل ذلك أعرفه ! ... وأعرف العناء الذى تكلف ! ..

جالاتيا : ماذا تعنى يا بجماليون ؟ ...

بجماليون: (**يفيق قليلا**) أصبتِ ! ... أصبتِ ... لا ينبغى أن أتكلم هكذا ... معذرة يا جالاتيا ... إنى فرح بك ... فرح بلقياك ! ...

جالاتيا : أوَ كنتُ غائبة ؟ ...

بجماليون: كيف يمكنُ أن تكونى غائبة ؟! ... إنك حاضرة دائماً فى ذهنى ... حاضرة منذ ... منذ أمد بعيد ! ...

جالاتيا : شكراً لك ! ...

بجماليون: أيسرك أن أقول لك ذلك ؟ ...

جالاتيا : نعم ... قل لى أيضاً إنك تحبنى ! ...

بجماليون: آه يا جالاتيا..لقد أحببتك قبل أن توجدى ... إن حبى لك هو الذى أوجدك ! ...

جالاتيا : لكأنى أسمع صوتكَ خلف سحُب .. لست أفهم كلَّ عباراتك ! ...

بجماليون: يا للآلهة ! .. كيف أجعلك تفهمين عنى ؟ ... أخبرينى أنت كيف تشعرين الآن ؟ ...

جالاتيا : كيف أشعر الآن ؟ ... هذا سؤال غريب ... شعورى هو هو ... دائماً كما كان ...

بجماليون: كما كان ؟ ... متى ؟ ...

جالاتيا : بجماليون ! ... لا تسألنى مثل هذه الأسئلة ... هلم بنا ! ..

(**تنهض** .....)

بجماليون: (**شارد اللب**) أين ؟ ...

جالاتيا : نلهو بعضَ اللهو ...

(**تسير فى البهو ... بخطا رشيقة**)

بجماليون: (**يتأملها فى زهو وخيلاء**) حتى قدميها

تخطـران ! ... كما قـدَّر لهمـا الذهــن الخلاق أن تخطرا ؟! ...

جالاتيا : (**تلتفت إليه**) بجماليون ! ... قلت لك لا تنظر إلىّ هكذا ! ...

بجماليون: لا تمنعينـي مـن النظـر إليكِ والإعجـابِ بكِ يـا حبيبتى ! ...

جالاتيا : (**فى رقة ودلال**) أهو الحب إذن ؟ ...

بجماليون: وماذا تظنين غيرَ ذلك ؟ ...

جالاتيا : لست أدرى ... إنك تخيفنى قليلا ! ...

بجماليون: أنا ؟ .. لا تقولى هذا أيتها العزيزة ! ... ما الـذى يخيفك منى ؟ ...

جالاتيا : لستُ أدرى ... ربما ...

بجماليون: ربما ماذا ؟ ... أخبرينى بكل ما يجولُ فى خاطرك يا حبيبتى ! ...

جالاتيا : نظراتُك ... يخيل إلى أحياناً أنك تعرف عنى أكثر مما أعرف عن نفسى ! ...

بجماليون: لا أيتها العزيزة!.. ليس يعرف عنك أكثر مما تعرفين عن نفسك غير ذلك الإله الذى خلقك.. أما أنا... فكما ترين الآن.. لستُ لك أكثرَ من من زوج وحبيب!..

جالاتيا : أخبرنى ماذا تعرف عنى ؟ ...

بجماليون: لست أعرف عنك إلا أنك أجمل النساء طراً ... وإنى لفخور بك ! ...

جالاتيا : (**مبتسمة**) الآن أحس شيئاً من الطمأنينة إلى جوارك ! ...

بجماليون: أجل ... اطمئنى ! ... إنى لست لك أكثر من زوج وحبيب ! ...

جالاتيا : نعم ... أنتَ زوجِىَ الذى ينبغى أن أعيش معه دائماً ! ...

بجماليون: دائما ! ...

جالاتيا : أنت زوجى الذى يحمينى من الخوف إذا جَنَّ الليل ! ...

بجماليون: نعم ! ...

جالاتيا : أنتَ زوجى الذى ينشَط إلى العمل من أجلى إذا طلع النهار ! ...

بجماليون: نعم ! ...

جالاتيا : يا لى من حمقاء ! ... إنك زوجى منذ ... منذ أن عرفتك ... ومع ذلك لم يخطر لى أن أسألك عن عملك ! ...

بجماليون: عملى ؟! ..

جالاتيا : نعم ... ما عملك يا بجماليون ؟ ...

بجماليون: إنى ... إنى ... أصنع تماثيل ...

جالاتيا : (**تلتفت حولها**) لست أرى هنا تمثالا واحدا ...

بجماليون: بعتها كلها لأشترى بثمنها ! ...

جالاتيا : (**تشير إلى جيدها وثيابها**) هذه الجواهر والحلى والأثواب والعطور والهدايا والتحف التى تغمرنى بها ؟ ... إنك لكريم يا زوجى العزيز ! ...

بجماليون: لقد ادخرتُ مالا كثيراً من أجلك ! ..

جالاتيا : أوَلا تصنع تماثيل بعد ؟ ...

بجماليون: لن أصنع بعد الآن ! ...

جالاتيا : لماذا ؟ ...

بجماليون: لأنى لا أريد .. وربما لأنى أيضاً لا أستطيع ؛ فلقد وضعت كل مواهبى وآمالى ومشاعرى فى تمثال واحد أخير ، لا أحسب قط فى الإمكان أن أصنع ما يدانيه فى الإبداع ... صنعته ثم ألقيت من هذا الباب بكل أدوات صناعتى ... فلن أعود أبداً إليها ... إن أعجوبة الخلق لا تحدث مرتين ؛ لأن القلب الذى أذيب فيه بأكمله لا يمكن أن يوضع فى خلق سواه ، ما دمت لا أملك غير قلب واحد ! ...

جالاتيا : (**تنظر حولها**) وأين هذا التمثال ؟ ... لست أراه هنا ! ...

بجماليون: لا تسألينى هذا السؤال ! ...

جالاتيا : أبعته إذن ؟ ...

بجماليون: أنا ؟ ... أنا أبيع دمى وذهنى وحياتى ونبوغى وقلبى

وحبى ؟! ... ما هو الثمن الذى يرضينى فى ذلك كله ؟ ... ومن ذا يستطيع أن يدفع ما يجب أن أتقاضاه فى ذلك كله ؟! ...

جالاتيا : قلبك وحبك ؟ ... إنك لتحبه كثيراً فيما أرى ! ...

بجماليون: وأى حب ؟! ...

جالاتيا : أكثر منى !...

بجماليون: لا ... بل .. آه ... ماذا أقول ؟ ... وكيف أجيب ؟ ...

جالاتيا : (**فى غضب**) أكثر منى ! ...

بجماليون: (**فى تضرع**) جالاتيا ! ... لا تضعى الأمور هذا الوضع ! ... ولا تثيرى فى سماء نفسك الصافية غماماً ، ولا تجعلى المرارة تفسد من حلاوة هذه اللحظة ! ...

جالاتيا : لن تزعم بعد الآن أنى وحدى حبيبتك ؟ ...

بجماليون: بل أنت كذلك فى كل حين يا جالاتيا ! ...

جالاتيا : إنى لست كل حياتك وكل قلبك وكل حبك !...

بجماليون: بل أنت كذلك ...

جالاتيا : وذلك التمثال الذى تحدثنى عنه ! ..

بجماليون: هو ... هو أيضاً كذلك ! ...

جالاتيا : لا ... لست أريد أن تشرك معى شيئاً ! ... لست أريد ! ... لست أريد ! ... لست أريد ! ...

بجماليون: (**فى ضيق**) أيتها الآلهة ! ... أيتها الآلهة ! ...

(... **أبولون فى النافذة يبسم ويهمس فى أذن ڤينوس ... ...**)

أبولون : أظن الآلهة لا تستطيع إخراجه من هذا المأزق الذى أوقع نفسه فيه ! ...

ڤينوس : (**همساً**) لا تسخر منه يا أبولون ! ...

(... **جالاتيا ترتمى على المقعد با كية**)

جالاتيا : أنا التى صدَّقت الساعة كلامَك لِي ...

بجماليون: أتبكين ؟ ... لا ... لا تفعلى ذلك ! ... ستتلفين هذه الأهداب ... إنك لاتقدرين قيمة هذه الأهداب ! ... آه .. إنها لا تعرف ما تصنع ؟! ...

(يحاول فى يأس أن يجفف دموعها)

جالاتيا : (**فى تمنع وتدلل الأطفال**) ما شأنك أنت بأهدابى ودموعى ؟! ...

بجماليون: (**فى حيرة**) ما شأنى أنا ؟! ..

جالاتيا : (**تهز كتفيها**) إنى أفعل ما يحلو لى ...

بجماليون: آه أيتها العزيزة جالاتيا ... أتوسل إليك .. أتوسل إليك أن تحرصى على كل هُدبة من أهدابك ، وكل أنملة من أناملك ... كل شىء فيك ثمين ... ذراعكِ ويدُكِ وكتفُكِ وفمك وأنفك وخدك ... لست أحتمل أن أرى خدشاً يصيبك ! .. ولا بعوضة تخزُكِ .. ولا ذرة من الغبار تقع على جسمك الناصع ...آه .. عفوا يا جالاتيا ... لست أدرى كيف أفصح عن ... عن ...

جالاتيا : (**تصفو وتشرق**) عن حبك لى ؟ ...

بجماليون: أجل ! ... أجل هو ذاك يا حبيبتى ! ...

جالاتيا : (**فى دلال**) نعم ، ادْعنى حبيبتَك ! ...

بجماليون: دائماً ! ...

جالاتيا : ضمني إلى صدرك ...

(... **بجماليون يسرع ، ويضمها طويلا**)

أبولون : (**يبسم قليلا ، ويهمس فى أذن ڤينوس**) أظن من سلامة الذوق أن نتركهما الآن فى خلوة ! ...

ڤينوس : (**هامسة لأبولون فى خيلاء ، وهى تتحرك للانصراف**) ومن سلامة الذوق أيضاً ، أن تعترف بأنى انتصرت ! ...

الفصل الثانى

(الغابـة متشحـة بـأضواء النهار الشاحبة ساعة الأصيل ، وقـد جـلس بجماليون فى بهو داره ، مطرقا كئيبا غير ملتفت إلى جوقة الراقصات التسع ، وهن يقبلن من جوف الغابة مقتربات من النافذة فى رقص هادئ بطئ ...)

* * *

الجوقة : (**تهمس عند النافذة**) بجماليون الحزين ! ...

بجماليون: (**لا يتحرك ولا ينبس**) ! ...

الجوقة : بجماليـون المسكين ! ... أخبرنـا متـى كان هروبها ؟! ...

بجماليون: (**يرفع رأسه صائحاً**) اغْرُبْنَ عنى !...

الجوقة : إنا نريد لك خيراً ؛ لأنك عرفت الحب ... سنبحث لك عنها ! ...

بجماليون: لا أريد أن يبحث عنها أحد ! ...

الجوقة : لا تلعنها ولا تمقتها يا بجماليون ! ...

بجماليون: (**كالمخاطب نفسه**) ليتنى أستطيع ذلك ! ...

الجوقة : تذكر اللحظات التى كنت تقضيها وحيدا فوق هذا العشب ترقب السماء وقد تدثرت بردائها المخْمَلىّ القاتم ، ونثرت على صدرها حليها ولآلئها فى حراسة الليل الساجى النائم ؛ لكأنك كنت تحاول أن تختلس من السماء شيئاً ، وكنا نحن نرقص على مقرَبة منك ... وكنا أحياناً نحيط بك دون أن تشعر بنا ... لقد كنت وقتئذ تفكر فى صنعها ...

بجماليون: (**فى إطراق**) وا أسفاه ...

(**الباب يطرق طرقا خفيفا ، ثم يفتح وتظهر إيسمين ...**)

إيسمين : « بجماليون » ! ... أحمل إليك خبراً ... أفضى به

إليك وحدك ! ...

الجوقة : إنّا ذاهبات نرقص بعيداً ! ...

(تبتعد الجوقة فى رقصتها الهادئة البطيئة حتى تختفى ... وتدنو « إيسمين » من « بجماليون » ....)

إيسمين : عرفت مقرها ! ... مقرهما ... لقد هربت معه ... ألا تعلم ؟ ..

بجماليون: (**بلا حراك**) وكيف أستطيع أن أجهل ذلك ؟ ...

إيسمين : كان يجدر بى أن أتوقع هذا الأمر ! ...

بجماليون: (**يرفع رأسه ناظراً إليها**) وماذا يعنيكِ أنتِ منه ؟ ..

إيسمين : نرسيس ، هو مِلْكى كما هى ملكك ! ...

بجماليون: هى ليست الآن ملكى ! ...

إيسمين : لا تقل هذا يا بجماليون .. قم معى ! ...

بجماليون: إلى أين ؟ ...

إيسمين : إليهما ! ..

بجماليون: ماذا نصنع بهما ؟! ...

إيسمين : لا تحرج صدرى يا بجماليون .. إنهما فى مكان غير ناء ، أتعرف ذلك الغدير فى غابة السرو ؟ ... هنالك كوخ على حافة الماء ... (**كالمخاطبة لنفسها**) آه للشقى ... لقد مضى بها إلى المكان الذى أريته إياه ! ..

بجماليون: قلت لك لم يعد لى بها شأن ...

إيسمين : ليس فى إمكانك التخلى عن مصيرها ...

بجماليون: مصيرها الآن بيدها ...

إيسمين : جالاتيا الجميلة ! ... تلك الآية التى وضعت فيها كل ما اكتنزت من فن وحكمة وتجاريب ! .. تحفة التحف التى أنتجتها عبقريتك الخلاقة ، بعد جهاد الليالى والأعوام ... لا ... لن تستطيع ... لن تستطيع أن تعيش بغيرها ! ...

بجماليون: (**بعد لحظة**) لا أريد أن أسمع شيئاً فى أمرها ...

إيسمين : (**بعد صمت**) إنى أفهم كل مابك الآن ... ومع ذلك .. أنا موقنة أنك غير حاقد عليها ولا ناقم ! ...

بجماليون: لو أن هذا فى الإمكان ! ...

إيسمين : إنك تحبها ...

بجماليون: يا لك من حمقاء ! ...

إيسمين : لست أعنى ذلك الحب ! ... أنا أيضاً كنت أصنع من نرسيس كائناً آخر ، بمادة من عندى ؛ لهذا لا أستطيع التخلى عنه ؛ فهو يحمل جزءاً منى ... لعله خير أجزاء نفسى ! ...

بجماليون: بل هو خيرها جميعاً ! ..

إيسمين : أجل يا بجماليون ... هو كما تقول ! ... لذلك لست أشعر أنا أيضاً أنى حاقدة عليه أو ناقمة ...

بجماليون: كيف نمقت عملنا الذى صنعنا بخير مَلكاتنا ...

إيسمين : كل عجبى هو لانصراف هذه المخلوقات عن خالقيها ! ...

بجماليون: وفيم العجب ؟ ... هل ارتفع مخلوق يوماً إلى فهم خالقه ؟! ...

إيسمين : عبثاً حاولت أن أفتح قلب نرسيس المغلق ! ..

بجماليون: أنا لم أحاول ؛ لأنى أدركت أنها لن تفهم عنى ما أقول ... كان ينبغى دائماً أن أحادثها بما تستطيع هى أن تفهم ! ...

إيسمين : حسنا فعلت ! ...

بجماليون: إنى الآن أدرك وسائل الإله العظيم جوبيتر ، عندما كان يحب فتيات من المخلوقات ... لقد كان يتخذ لكل فتاة الصورة التى تفهمها وتروق فى عينيها ! ... هكذا اتخذ شكل بجعة جميلة للرقيقة «ليدا» واتخذ شكل ثور قوى للحسناء «أوروبا» واتخذ شكل قطع ذهبية للفاتنة «دانايه» ... بهذا استطاع أن يملك مشاعرهن ! ... الجمال والقوة والمال ... آه ... حتى الآلهة ينبغى لها أن تتذرع بهذه الأشياء للوصول إلى قلب المرأة ! ...

إيسمين : أنت الذى تمنى لآيته وتحفته أن تنقلب امرأة ... ومضيت إلى معبد ڤينوس تدعوها وتسألها ! ...

بجماليون: (**صائحاً**) لا تذكّرينى بڤينوس ! ... لا تذكرينى

بڤينوس ! ...

إيسمين : ماذا دهاك ؟! ...

بجماليون: (ثائراً) هى سبب البلاء ... ڤينوس هى سبب البلاء .. لقد كنت سعيداً ... لقد كانت معى جالاتيا هنا دائماً ... جالاتيا الأخرى ... جالاتيا الأولى ... هنا أمامى خلف هذا الستار ... كأنها إلهة خلف السحب ! ... نعم لقد كانت إلهة ؛ لأنى كذلك صنعتها ... لقد أخرجتها من رأسى ؛ كما أخرج الإله جوبيتر من رأسه الإلهة منيرفا ... لقد كنت أراها وترانى كل يوم ، فيخيل إلىّ أنها تفهم كل ما يجول برأسى وقلبى ؛ لأنها منهما كُورت وصوِّرت ... إلهان فى سماء واحدة يعيشان ... هكذا كنا .. ولم يكن أحد يستطيع أن يفرق بيننا .. آه يا ڤينوس .. انظرى ماذا فعلت أنت بى وبجالاتيا ؟ ... لقد وضعتِ أنت فى آية الآيات روح هرة : أى روح امرأة ، ذلك الروح المَلول الطَّرْف ! ... لقد جعلتِ هذا الأثر

الرائع ينقلب إلى كائن تافه ... لقد صيرتها امرأة حمقاء
تهرب مع فتى أحمق !'...

إيسمين : حسبك يا بجماليون ! .. لاتُهن الآلهة! ..

بجماليون: دعيني أقل لهم ما أريد ، دعيني أصارح هؤلاء الآلهة بالحقيقة !! ... لقد صنعت أنا الجمال فأهانوه هم بهذا الحمق الذى نفخوه فيه ! .. كل ما فى جالاتيا من روعة وبهاء هو منى أنا ، وكل ما فيها من سخف وهراء هو منكم أنت يا سكان أولمب ...

إيسمين : بجماليون ! ... أخشى عليك غضب ڤينوس ! ...

بجماليون: (**ينهض فى المكان ثائراً صائحاً منفجراً**) اسكتى أيتها الحمقاء ! ... لست أخشى ڤينوس ! ... أين هى ڤينوس ؟ ... أود أن أرى وجهها الآن ! ... هل احمر خجلا هذا الوجه ، وهو يرى هذه الهزيمة الشنعاء ؟! ... اعترفى يا ڤينوس أنى انتصرت عليك ... اعترفى أن التحفة التى خرجت من يدى مثلاً للكمال فى الخلق والإبداع ؛ قد شابها النقص

بلمسة من يديك ! ...

إيسمين : (**فى خوف**) بجماليون ! ... إنى ذاهبة ...

بجماليون: ڤينوس ! ... أين تلك التى سألتُها الحب فأعطتنى الشقاء ! ... لقد حسبتها تستطيع أن تمنحنى شيئاً ... لقد كان الحب فى يدى دون أن أشعر ... اتركونى أيتها الآلهة للكاتى ... فلست فى حاجة إليكم ! ...

إيسمين : لا تقل ذلك يا بجماليون ؟... إنى ذاهبة ! ...

(**تخرج سريعاً ...**)

بجماليون: آه ... ردوا علىّ عملى ! ... ردوا علىّ جالاتيا كما كانت ... تمثالا من عاج ! ... أيتها الآلهة ... دعونى وشأنى ، لنفسى ومخلوقات نفسى ! ... ما أنا إلا صنوكم ونظيركم ،بل إنى عليكم سموت ، وعلى قدرتكم فقْتُ ، فأنتم ما فعلتم غير أن أفسدتم الجمال الذى أقمت ! ... أفسدتم جمالى الخالد ! ... أفسدتم جمالى الخالد ! ...

(**يرتمى على الفراش باكياً وحيداً**)

(تضيء النافذة بالنور السماوى وتهبط مركبة ڤينوس فى الغابة ... ثم يظهر أبولون وڤينوس وهما يدنوان من النافذة يطلان منها إلى داخل الدار ...)

أبولون : ينبغى أن نعترف أنه على حق ! ...

ڤينوس : (**فى غضب**) صه ! ...

أبولون : (**باسماً**) أرينى وجهكِ يا ڤينوس ! ... هل احمر خجلا حقيقة ؟! ...

ڤينوس : هذا رجل غير جدير بهباتى !! ...

أبولون : هو حقاً غير جدير بهباتك ! ... انظرى إلى ما صنعت به هباتك ! ... يا له من مسكين !...

ڤينوس : أبولون ! ... من العار أن يسخر أحدنا من الآخر — نحن الآلهة الخالدين — من أجل بَشرٍ فان ! ...

أبولون : أوَ لا ترينَ من العار أن نُمسى سخريةَ بَشرٍ فانٍ ... نحن الآلهة الخالدين !؟ ...

ڤينوس : لست أرى فى الأمر ما يدعو إلى هذا القول ! ...

أبولون : وبماذا تصفين هذه الهزيمة ؟ ...

ڤينوس : أنت أيضاً تسميها هزيمة ؟! ...

أپولون : عجباً ! ... هل تجدين لها اسماً آخر ؟! ...

ڤينوس : أصغ إلىّ يا أپولون !...

أپولون : هأنذا مصغ يا ڤينوس ! ...

ڤينوس : إنى أعرف تحديك القديم لى ... أصغ إلىّ بغير تحدٍ ، وبغير تحاملٍ ، وبغير تشفٍ ، وبغير تهكم !... ألم يسألنى هذا الرجل لتمثاله الحياة ؟ ... لقد منحت تمثاله الحياة ...

أپولون : أهذه هى الحياة التى تستطيعين أن تمنحيها ؟! ... إن الحياة الساكنة التى وضعها هو فى العاج كانت أنبل وأرفع وأقوى من تلك الحياة المتحركة الهزيلة الشاحبة التى وضعتِها أنتِ فى تمثاله !... هذا ما يرى ... ومن حقه ولا ريب أن يقدر هذا التقدير ...

ڤينوس : وأنت أيضاً ترى ذلك ؟ ...

أپولون : مع الأسف والاعتذار ! ...

ڤينوس : هنالك أشياء لا تستطيع أن تراها ... لا أنت ولا

هو ! ...

أپولون : لن تنكرى على الأقل أننا نستطيع أن نـرى الشىء الجميل ! ...

ڤينوس : وماذا تريدان منى الآن ؟! ..

أپولون : أولا اعترفى أن عبقريته قد انتصرت ... ثم اسحبى بعد ذلك ما وضعت فى عمله من عناصر النقص والسخف باسم الحياة ... ردى عليه — كما طلب — تمثالـه ساكنـاً كما كان ... نـابضاً كما كان بحيـاة الفـن وحدها ! ...

ڤينوس : آه ! ... أية مذلة لإله أن يحنى رأسه أمام بشر ! ... سأفعل ما أراد ... ولكن ...

أپولون : ولكن ... ؟

ڤينوس : ولكن الحرب بيننا لم تنته بعد ! ...

أپولون : (**يلتفت إلى بجماليون المنبطح على فراشه**)إنه نائم .. انظرى ... إنه تحرك قليلا ... إنه يتقلب .. صوتك ولا ريب يتمثل له الساعة فى هيئة أحلام مزعجة ! ..

فينوس : (**فى غيظ كظيم**) وصوتك أنت ؟ ...

أبولون : صوت قيثارتى هو الذى تمثل له دائماً فى صورة أحلام جميلة ... رعت وروت كل عناصر نبوغه ! ...

فينوس : (**فى ضحكة استخفاف**) قيثارتك !؟ ...

أبولون : نعم قيثارتى ! ...

فينوس : لماذا أتعرض وحدى لتحدى مثل هذا الرجل ؟! ... لِمَ لا تأتى لنجدتى يا صاحب القيثارة الساحرة ! ...

أبولون : نجدتك ؟ ...

فينوس : ألا ترى من واجبنا التعاون على إنقاذ سمعة الآلهة ؟! ...

أبولون : لا تمكرى مكر النساء !... ولا تحاولى الزَّجَّ بى معك ... لقد قلت لك إنى لا أحب التدخل فى شئونك الخاصة ! ...

فينوس : لقد زعمتَ أنى فشلتُ وأفسدتُ ... فلماذا لا تتقدم أنت لإصلاح الأمر ؟ ... لقد أعطيت أنا التمثال حياة تقولون إنها قبيحة تافهة سخيفة ، فمن غيرك يا أبولون

يستطيع أن يجعل هذه الحياة جميلة نبيلة رائعة ! ...

أپولون : إنه لم يطلب إلىّ ذلك ...

ڤينوس : إنه ولا ريب يفضل ذلك ...

أپولون : كلا ... ردى جالاتيا إلى عاج فى بساطة كما طلب ... ولا تعقدى الأمور ! ...

ڤينوس : ولماذا لا تحاولُ أن تكملَ ما فى حياتها من نقص ؟ ...

أپولون : أفٍ يا ڤينوس ! ... ما دخلى أنا ؟ ...

ڤينوس : إنك خائف ! ...

أپولون : أنا ؟ .. ومم أخاف ؟ .. ليس أيسر علىّ من ذلك ...

ڤينوس : إذن فافعل ...

أپولون : ليست معى قيثارتى ...

ڤينوس : إنها فى مركبتى ... انتظر حتى آتيك بها ...

(تتجه إلى النافذة وتمد يديها إلى المركبة)

أپولون : (**مخاطبا نفسه**) أفٍ لها من ثرثارة !... يعز عليها أن تترك الآخرين فى راحة ! ...

ڤينوس : (**تعود بالقيثارة**) بم تهمس ! ..

أبولون : لا شيء ...

ڤينوس : هاك القيثارة ! ..

أبولون : (**يتناول منها قيثارته**) أين هي الآن جالاتيا هذه ؟! ...

ڤينوس : إنها على مَقربة من هنا .. فى كوخ بغابة السَّرو أمام الغدِيرِ مع ذلك الفتى ... نرسيس ! ...

أبولون : يا لها من حمقاء ! .. ككل النساء ...

ڤينوس : اصنع أعجوبتك ! ...

أبولون : (**يضرب على القيثارة**)

نغماتى عليها رفيع الكلام ،
ونبيل المعانى ورائع الأحلام !
همساتى تفتحى لها زهرات .
بأريج الفن والفكر عطرات !...
بأمرى أسرعى إلى هذا المكان ،
وبقبلاتك أيقظى زوجك بجماليون ! .

ڤينوس : أتراها الآن عائدة ؟! ..

أپولون : على أجنحة النسيم طائرة ! ..

ڤينوس : سأبقى لأرى ما يكون ؟! ..

أپولون : فلنشاهد من خلف النافذة ! ..

(فاصل موسيقى)

(يخرجان من النافذة كما دخلا ، ويقفان خلفها يشاهدان ... وعندئذ يفتح باب الدار فى رفق ، وتظهر جالاتيا كالخجلة ... وتتقدم وهى تبحث بعينيها فى أنحاء المكان ، حتى يقع نظرها على بجماليون ...)

جالاتيا : (**فى همس عذب**) ! .. بجماليون ! ...

بجماليون: (**يتحرك قليلا**) ! ..

جالاتيا : (**تنحنى عليه وتقبله**) ! ... بجماليون ! ...

بجماليون: (**يفتح عينيه**) أنتِ ؟ ...

جالاتيا : نعم أنا ؟... أيزعجك أن أوقظك بقبلاتى ؟! ...

بجماليون: متى عدت ؟ ...

جالاتيا : الساعة ...

بجماليون: ولماذا عدت ؟ ...

جالاتيا : لست أدرى ... غير أنه ينبغى لى أن أبقى إلى جانبك يا بجماليون العظيم ! ..

بجماليون: (**وهو يتأملها مليا**) بجماليون العظيم ! ...

جالاتيا : نعم.. أتدهش لهذا ؟ ... ألا تعرف نفسك ؟ ...

بجماليون: قليلا ...

جالاتيا : أمّا أنا فأعرفك كثيرا ... أى موسيقى تملأ نفسى الآن بأشياء لم أكن أدركها قبل الآن !... إنك ناقم علىّ ! .. أرى أنك ساخط علىّ ! ...

بجماليون: لم أسخط عليكِ لحظة قط ، ولم أنقِم ..

جالاتيا : حقاً؟..

بجماليون: ثقى بذلك ...

جالاتيا : ابتسم إذن ..

بجماليون: ليس الآن ! ...

جالاتيا : إنك لست فرحا بعودتى ! ...

بجماليون: ليس للسبب الذى قد يبدو لك ...

جالاتيا : لماذا لا تصارحنى بكل ما فى نفسك يا پجماليون ؟ ..
إنى اليوم لستُ مثلى بالأمس ... إنى الآن جديرة أن
تفتح لى نفسك فأطالع كل سطر فيها ... لأنى الآن
أعرف من أنت ! ..

پجماليون: ماذا تعرفين ؟! .. هو بالطبع نرسيس الذى
أخبرك ! ...

جالاتيا : لا تذكرنى الساعة بنرسيس هذا ! ..

پجماليون: لماذا ؟ ..

جالاتيا : ذاك عهد انقضى .. لقد كنت طائشة حمقاء ! ...

پجماليون: والآن ؟ ..

جالاتيا : لا ..

پجماليون: أواثقة أنت من ذلك ؟ ..

جالاتيا : إنى الآن أرى أشياء يدهشنى ويدهشك أن أراها بمثل
هذه السرعة ! ...

پجماليون: لست أنكر أنه تدهشنى الساعة أشياء كثيرة ! ..

جالاتيا : ومع ذلك هى حقيقة يجب أن نصدقها ! ..

بجماليون: ليس بهذه السرعة يا جالاتيا ... خصوصا فيما يتعلق بى ... فلنصبر على الأقل حتى يذهب عنى أثر الحلم الذى رأيت فى النوم منذ لحظة ! ...

جالاتيا : أرأيت حلماً ؟ ...

بجماليون: مزعجاً ! .. بجعتين ... تأكل إحداهما من قلبى .. والأخرى من كبدى ...

(... **أپولون فى النافذة يلتفت إلى ڤينوس** ...)

أپولون : (**باسما هامسا**) بجعتاكِ ! ...

ڤينوس : (**هامسة غاضبة**) صهْ ! ...

جالاتيا : (**لبجماليون فى ألم**) آه أيها العزيز بجماليون ! ... ألم أقل لك ينبغى لى أن أبقى إلى جانبكَ دائما ؟! ...

بجماليون: ولكن ... يخيل إلىّ أن البجعتين — لحسن الحظ — لم تتناولا من قلبى وكبدى شيئاً كثيرا ! ...

جالاتيا : لماذا ؟ ...

بجماليون: لعلهما تكرهان الطعامَ الحار! ...

جالاتيا : (**باسمة**) آه يا بجماليون الظريف ! ..

بجماليون: أو لعلها ! ...

جالاتيا : ماذا ؟ ...

بجماليون: خيل ألّى أيضاً أنى سمعت قيثارة .. ما كادت تنطلق أنغامها حتى نفرت البجعتان وانطلقتا بعيداً .. بعيداً ...

جالاتيا : (**كالحالمة**) أنغام قيثارة ! ..

بجماليون: (**يلتفت إليها**) نعم .. لماذا تغير وجهك ؟ ...

جالاتيا : لا شيء ... لاشيء ! ..

بجماليون: ولكنى لست أخفى عنك أن ما وجدت منك عند اليقظة كان أعجب من الحلم ! ...

جالاتيا : (**حالمة**) منى ... حقاً ... لست أدرى ...

بجماليون: لستِ تدرين ماذا يا جالاتيا ؟ ...

جالاتيا : حياتى ... أين الحلم فيها وأين الحقيقة ...

بجماليون: حياتكِ ليست بالطول الذى يستحق التفكير فيما بعد ...

جالاتيا : أحس مع ذلك أنها طويلة ... أنسيتَ من أنا ؟ ...

يبدو لى أنك نسيت أنّا عشنا معا طويلا !...

بجماليون: نعم ... عشنا معا ...

جالاتيا : كم من الأعوام ؟ ...

بجماليون: لست أذكر ... أتذكرين أنت ؟!! ...

جالاتيا : آه ... أيها القاسى ! ...

(تذهب إلى قرب الستار مفكرة ، وتجلس فى إهمال على قاعدة التمثال مطرقة ...)

بجماليون: ألا تجدين دائماً غير هذا المقعد الرخامى ! ...

جالاتيا : لطالما جلستُ هكذا ... وكنتَ ترنو إلىّ دائماً بنظراتك العميقة ... ولكنك لا تذكرُ الآن شيئاً ! ..

بجماليون: لا تتألمى كثيراً لضعف ذاكرتى ! ..

جالاتيا : لا لهذا ... بل لأنى لا أعرف ماذا أصنع بعد الآن ... وأنتَ تعاملُنى هكذا ... إنك لم تخبرنى أنك تألمت عندما أخذت البجعتان تلك القطعة من ...

بجماليون: وماذا يعنيكِ من ذلك ؟ ... أحسبك لن تزعمى أنكِ أنتِ تلك القطعة ...

جالاتيا : كنت أرجو أن تقول : إنى كذلك ! ...

بجماليون: ما دمت تريدين أن أقول لك ذلك .. فلأقــل لك ذلك .. أنت تلك القطعة .. منها تشكلتِ فى صورة امرأة ! ...

جالاتيا : نعم ... أحس الآن أنكَ لا تكذب ! ..

بجماليون: عجباً ... كيف تحسين ذلك ؟ ..

جالاتيا : أمن العسير أن أشعر أنى جزء منك ؟! ..

بجماليون: أهذا كل ما تشعرين به ؟ ..

جالاتيا : عندى غير هذا ... ولكن ...

بجماليون: افتحى لى كل نفسك يا جالاتيا لأطالعَ كل ما سطر فيها ! ..

جالاتيا : لكأنى بكَ لا تعرف بعدُ كل خفايا نفسى ... إنكَ لتسألنى ما سألتك منذ لحظة .. ولكنكَ لم تجبنى ، وأسدلت دونى ستارَ الصمتِ ؛ كما يفعل الآلهة مع البشر ! ... أجل ... ألا تراه عجيبا أن يطلب الآلهة إلى مخلوقاتهم الإفصاحَ عما فى النفوس ،والكشفَ عما

في الصدور ؟! .. فإذا حاولت هذه المخلوقات أن تسأل آلهتها عن أنفسهم سكتت الآلهة ولم يحيروا جواباً ..

بجماليون: لعلهم لا يعرفون ...

جالاتيا : أتظن ذلك ؟ ..

بجماليون: أمن الضروري أن تعرف الصفحات ما في صدرها من كلمات ، إنما على البشر أن يقرءوا ، وأن يفهموا وأن يفسروا .. كلٌّ على قدر فطنته وتفكيره وإدراكه ! ..

جالاتيا : كنت أحسَب الآلهة يعرفون — على الأقل — مثلما نعرف ..

بجماليون: أتريدين لهم أن يعرفوا القراءة والكتابة ؟ ...

جالاتيا : بجماليون ! ... أيها العزيز بجماليون ! .. إنك تحاول منذ عدت أن تخاطبني في إهمال وخفة وقلة احتفال ... إذا كنت تريد الاقتصاص مني فثق أني قد استوفيت العقاب ! ..

بجماليون: أنا أعاقبك على أمر لم تقترفه يداكِ اللطيفتان ؟! .. إني

أعرف المسئول ، وقد أعلنته برأيى فيه منذ قليل ..
ولعله آثر إصلاح عمله وإتقان صناعته ! ... ومع
ذلك هذا مستحيل ... عهدى به غير قدير على أكثر مما
صنع ! ... كيف حدث فيك إذن هذا التغيير
السريع ؟؟ ..

جالاتيا : للمرة الأولى منذ عدت لا أفهم ما تقول ! ...

بجماليون: معذرة يا جالاتيا ... لا تلقى بالا إلى قولى ... ذاك
حساب بينى وبين ...

**(... أبولون وڤينوس يتبادلان نظرة ذات
مغزى ...)**

جالاتيا : (**تدنو من بجماليون**) آه يا بجماليون ! ...

بجماليون: (**رفيقاً**) ماذا بكِ أيتها العزيزة جالاتيا ؟! ...

جالاتيا : (**تمر بيدها مراً لطيفاً على صدره**) لو استطعت أن
أقرأ كل ما فى صدر هذه الصفحة من كلمات ! ...

بجماليون: يكفيكِ يا جالاتيا أن تقرئ ما فى صدركِ أنت ! ...

جالاتيا : أحقاً؟...

بجماليون: ألم تقولى الساعة إنكِ تشعرين بأنكِ جزء منى ؟! ..
ارجعى إلى نفسكِ أنت دائماً وطالعيها تعلمى الشىء الكثيرَ عنى ! ..

جالاتيا : فى نفسى أشياء جميلة نبيلة ... فى نفسى أنك إلٰه ! ...

بجماليون: أنا ؟! ...

جالاتيا : يخيلُ إلىَّ أنك خلقتَنى وصنعتَنى وجعلتَنى كما تتخيلُ وتشتهى ... هذا شعور كالحقيقة الناصعة ، يصعدُ أحياناً من أعماق نفسى كما يصعدُ النهارُ من جوف الليل ! ... يخيل إلىّ أنكَ استلقيت ذات أمسيةٍ مقمرة ، على العشب الأخضر النضر ، فى هذه الغابة الناعسة الهامسة .. فحلمت حُلماً بديعاً .. كنتُ أنا هذا الحلم .. ما أنا إلا حلمُك .. لهذا يخامرُنى أحياناً ذلك الإحساس الغامضُ عن ماضى حياتى .. فأتساءل : أأنا حلمٌ أم يقظة ؟ .. أأنا حلمك دائماً يا بجماليون أم يقظتك ؟ ...

بجماليون: خلقتكِ ؟ ... من أى شىء خلقتُك ؟ ...

جالاتيا : من أشعة فكرِك المتألق اللامع ! .. من جواهر ذهنك الوهَّاج الساطع ! .. من حرارة قلبك التى يضطرم بها قلبى .. من كل تلك المشاعر الجميلة النبيلة التى تعج بها نفسى ! ... نعم ... نعم .. ما منبعُ كل هذا غيرك أنت ! .. أنت يا زوجى بجماليون ! ...

بجماليون: أمن هذا فقط صنعتكِ ؟ ...

جالاتيا : أوَكلٌّ هذا قليل ؟ ... هنالك مع ذلك أسطورة قد تبسم لها إذا سمعتها ...

بجماليون: أسطورة !؟ ..

جالاتيا : (**باسمة**) قيل لى إنك صنعتَنى من عاج ! ..

بجماليون: (**باسماً**) مادة نفيسة كما ترين ! ...

جالاتيا : وأن ڤينوس نفخت الحياة فى كِيانى .. فصرتُ كما ترانى ! ...

بجماليون: لم تصدق بالطبع هذا الهُراء ؟! ..

جالاتيا : لست أدرى ؟ .. لم لا ؟ .. إنى أشعر حقا أنك إلهى وأنى مخلوقتك .. على أى وجه حدث ذلكَ ؟ ...

وبأية مادة ؟ .. هذا مالا ينبغى أن أعنَى به كثيراً ..
لعل هذا يعنيكَ أنت ... وما دمتَ لا تريد أن
تصارحنى بشىء .. وما دمتَ تريد أن أكشف أنا كلّ
شىء لنفسى بنفسى .. فلأقفْ إذن عند هذا
الحد !! ...

بجماليون: نعم ... يحسن أن تقفى عند هذا الحد ! ...

جالاتيا : ومع ذلكَ .. تستطيع أن تخبرَنى الآن دونَ أن تخشى
شيئاً ! ...

بجماليون: أعلم .. أعلم أنكِ الآنَ امرأةٌ أخرى ! ..

جالاتيا : لستُ أنسى أنكَ البارحةَ كنت تخشى أن تخاطبنى بما لا
أفهم ؛ لأنى كنت أخاف ذلك ... نعم ! .. لستُ
أكتمُك أنى كنتُ أخافُ منك ! ...

بجماليون: والآن ؟ ...

جالاتيا : لا ... لستُ أخافُك ؛ لأنى أحبُّك .. وأحبُّك لأنى
عرفتُك وعرفتُ نفسى بعضَ المعرفة ! ...

بجماليون: (**ينظر إليها فى عجب وإعجاب ويهمس**) أيتها

الآلهة !.. أيتها الآلهة !..

جالاتيا : لماذا تنظر إلىَّ هكذا يا بجماليون !...

بجماليون: أصغى إلىّ مليًّا يا جالاتيا ؟ .. أقول لك أولَ مرة قولا يصعد من أعماق قلبى كما تصعد الشمسُ الحارة المضيئة ... وإنك لتحسين مثله ولا ريبَ فى أعماقِ قلبك .. أنت يا جالاتيا جديرة بى ....وبحبى ! ...

جالاتيا : (**تركع وتضع رأسها فى حجره**) معبودى بجماليون !... معبودى بجماليون !...

بجماليون: (**ينحنى فيقبلها**) ؟ ..

(... **أپولون يمسك بقيثارته ، ويعزف**)

جالاتيا : (**ترفع رأسها**) نفسى تجيش بموسيقى رائعة !...

بجماليون: (**مصغياً**) نعم !.. نعم ! ..

جالاتيا : أتسمعها ؟..

بجماليون: إنها تذكرنى باللحظة التى حلمت بك فيها! ..

جالاتيا : لكأنها أنغام قيثارة !...

بجماليون: آه .. عرفت الآن .. فهمت كل شيء ... أدركت كل شيء !...

جالاتيا : ماذا ؟ ... ماذا يا بجماليون ؟ ...

بجماليون: شكراً لكَ يا أبولون ! ... شكراً لك يا أبولون ! ...

(**فينوس يرتسم على وجهها الغيظ** ...)

فينوس : (**تجذب ذراع أبولون فى عنف**) هلم بنا .. هلم بنا ... قد أضعنا وقتاً طويلاً ها هنا !...

أبولون : (**باسما**) ألا ترين من الإنصاف أن تعترفى بأنى انتصرت ؟! ..

الفصل الثالث

(الغابة تحت ضوء القمر فى شطره الأخير وقد جلس فى بهو الدار نرسيس وهو مطرق مهموم وأمامه إيسمين .. وهما غير حافلين بجوقة الراقصات التسع وهن يتضاحكن ويلغطن .. وقد طفق بعضهن يتأرجح على الأغصان المدلاة .. والبعض يرقص رقصاً سريع الإيقاع مرح النغم ! ... ...

* * *

إيسمين : الأمر لا يحتاج إلى كل هذا الإطراق والتفكير ؟ ..

نرسيس : (**يرفع رأسه ويحدجها بنظره**) إيسمين ! ...

إيمسين : أجل .. حادِثْنى ! ... إن الحديث قد يسرّى

عنـك !...

نرسيس : (**يلتفت إلى النافذة**) ما كل هذا الصياح والضحك والضجيج ؟! ..

إيسمين : (**تتجه إلى النافذة**) لو نأيتنَّ قليلا ... إن الغابـة متسعة الأرجاء !...

الجوقة : نحن نحتفل بهناء بجماليون !...

إيسمين : إنه ليس هنا الآن ...

الجوقة : إنه لابد عائد معها الآن ! ...

إيسمين : لا يدري أحد متى يعودان !... إنهما منذ ليالٍ فى الكوخ بغابة السروِ عند الغدير !...

الجوقة : فى الكوخ عند الغدير ! ... فلنذهب إليهما ! ..

إيسمين : نعم .. احملن أجمل أغانيكن وأبدع رقصاتكـن إلى هذين السعيدين ! ...

الجوقة : وخير ما جمعنا لهما من زهور برية ننثره على جسديهما المتعانقين ! ...

(ينصرفـن راكضات كـركض الغـزلان

النافرات ...)

إيسمين : أيها العزيز نرسيس ... إنى مصغية إليك ! ..

نرسيس : أترينه غاضباً علىّ كثيراً يا إيسمين ؟ ..

إيسمين : لماذا يغضب عليك ، من ذا يحمِّلك تبعةَ ما حدث ؟! ..

نرسيس : أقسم لكِ إنها هى التى ...

إيسمين : اختطفتكَ .. أعْلم ذلك .. ولا يمكنُ أن يكونَ الأمر غير ذلك ! ...

نرسيس : أجل ! .. لقد قالت لى فى غيبة بجماليون : « هلم بنا نخرج إلى الغابة ! .. نلعب ونقفز ونجرى ونتسابق كما تفعل أيائل الغاب ! .. » فقلت لها : « لا أستطيع حتى يأذن لى بجماليون .. » فجذبتنى من ذراعى جذبا .. وجعلنا نجرى ..

إيسمين : حتى بلغتما غابة السَّرو !...

نرسيس : نعم ! ... عند الكوخ الذى علمتنى أنت موضعه ! ...

إيسمين : وطفقتما تلعبان كطفلين أمام الغدير الذى طالما كنتَ تنحنى متأملا صورتك فى صفحة مائه الرائق ! ..

نرسيس : نعم .. لعبنا حتى غلبنا النعاس ! ..

إيسمين : ولما استيقظت لم تجدها إلى جانبك !..

نرسيس : لقد قلت فى نفسى لعلها ضلت فى الغابة ، أو لعلها عادت إلى الدار ! .. وفى الحالين لم أجرؤ على لقاء بجماليون ! ..

إيسمين : ولكنك جرؤت على لقائى فبحثت عنى فى كل مكان .. لماذا ؟ ..

نرسيس : نعم يا إيسمين .. لأنك تستطيعن أن .. أن تشيرى علىَّ بما ينبغى أن أفعل ..

إيسمين : أخبرنى يا نرسيس ولا تكتمنى أمرا : كيف شعورك نحوها ؟ ...

نرسيس : لست أفهم ما تقصدين !؟ ..

إيسمين : لقد عادت إلى بجماليون وكلها حب له ، وكلها إعجاب .. لكأن الآلهة قد صبَّتها فى خَلق جديد ..

إنهما الآن متحابان متفاهمان .. لكأن ڤينوس وأپولون يتنافسان فى إغداق كنوزهما على هذين الزوجين السعيدين ! .. ما وقْع كل هذا فى نفسك الآن ؟ ...

نرسيس : لا شىء ! .. إنى ما كنت أود أن تترك الدار لحظة .. وما كنت أنا فى حاجة إلى اللعب معها فى الغابة ! ..

إيسمين : أهى عندك امرأة مثل كل النساء ؟ ..

نرسيس : امرأة ؟ .. ما أعجب قولك هذا عن جالاتيا ! ... امرأة .. تلك التى طالما جلست أحرسها وهى تمثال من عاج فوق هذه القاعدة من الرخام ! .. امرأة ! .. تلك التى طالما نفضت عن صدرها وكتفيها ذرات التراب ! ..

إيسمين : ولكنها الآن ..

نرسيس : إنها دائماً تلك اللعبة التى شاهدت بعينى صنعها .. إنى لأدهش كيف يستطيع بجماليون أن يحب هذا الشىء الذى صنعه بيده ! .. لا تضحكى منى يا إيسمين إذا قلت ذلك .. إنى وأنا طفل كنت أقف على حانوت

رجــل يصنــع عجــلات سبــاق خشبيــة صغيرة للأطفال .. لها خيول تجرها من الخشب .. ولقد صنع ذات مرة حصانا يهز رأسه كأنه حي ... فعجبت له يومئذ عجبا مماثلا لعجبي يوم رأيت جالاتيا تتكلم وتمشي لأول مرة .. لقد جرينا نتسابق في الغابة ، وأنا أنظر إليها ضاحكا ذاكراً ذلك الحصان الخشبي ! ..

إيسمين : ياللك من طفل .. دائماً ! ..

نرسيس : أخبريني يا إيسمين لماذا أحس الآن أني في حاجة إليك دائماً ؟ !..

إيسمين : لأشير عليك بما ينبغي أن تفعل ! ...

نرسيس : نعم ... بل ليس من أجل هذا وحده .. أود أن أقول لك شيئاً آخر ! ..

إيسمين : (**في بعض اضطراب**) لا تقل الآن ! .. لا تقــل الآن !..

نرسيس : إنك تخشَين ألا أحسنَ الكلام ! ...

إيسمين : ليس هنالك ما يدعو إلى العجلة ! ..

نرسيس : إنكِ سيئة الظن بى ! ..

إيسمين : فلنتحـدث فيمـا جئنـا لـه .. فلنتحـدث عـن بجماليون !..

نرسيس : إنك مضطربة يا إيسمين !..

إيسمين : لا .. مطلقاً .. إنما أريد أن أشير بما يجب عليك !..

إنى أعلم مكان بجماليون من نفسك ، فهو الذى وجدك طفلا رضيعاً عند جدول من جداول هـذه الغابة ، فآواك وأرضعك من لبان الماعز وربَّاك .. على أنى أرى خير ما تفعل هو أن تلزم الصمت ؛ فهـو يعرفك كما أعرفك ! .. ولم يخطر قط بباله أنك أتيت أمرا يدعو إلى اللوم والتأنيب .. ثم إنه مشغول عن كل هذا الآن .. إنه فى حاجة إلى النسيان ! ..

فلندعه ينسى من كان وما كان..حتى لا يعيش إلا لها وبها هذه اللحظات التى طالما تمناها .. ولنحذر مـن أن نـفسد عليهما هـذا الهنـاء ، أو نلقـى ـ بمجـرد حضورنا ـ غماماً على وجه هذا الصفاء ! ..

نرسيس : أصبت !.. لا ينبغى أن أراه الآن ...

إيسمين : وإذا رأيته فلا تذكره بشىء ؛ فهو لابد قارئ فى عينيك
براءة الطفل الوادع الجميل ! ..

نرسيس : حسبك يا إيسمين ! .. كفى ! .. أنت تعلمين أنى لم
أعد طفلا ! ..

إيسمين : منذ متى ! ..

نرسيس : منذ .. منذ .. ولكنك تحرمين علىّ أن أتكلم ..

إيسمين : (**تسد فمه بيدها فى لطف**) نعم .. أغلق هذا الآن يا
نرسيس ! ...

نرسيس : (**يسحب يدها عن فمه بلطف ويلثمها**) هذه اليد
تخشى أن تفتح الصدَفة البراقة لئلا تجدها خالية من
اللؤلؤة ! ..

إيسمين : عجباً .. مَن علمك هذا ؟ ..

نرسيس : أتحسبين أنى نسيت كلماتك ؟ .. لم أنس قط كلمة
من كلماتك .. أتعلمين يا إيسمين لماذا ذهبت أبحث
عنكِ فى كل مكان ؟! ..

إيسمين : صه !.. لا تقل شيئاً بعد .. يكفينى ما سمعت ! .. لا تزد ! .. لا تزد ! ..

نرسيس : بحثت عنك ؛ لأنى .. وجدت أنى لم أعد دمية تلعب مع الدُّمَى ! ...

إيسمين : حقاً ؟! ..

نرسيس : وعنك أنت وحدك بحثت .. لأنى أحسست أنى أحمل جزءاً كبيرا منك هنا ..

(**يشير إلى صدره وقلبه ...**)

أيسمين : أنت تحس هذا وتقوله ؟ .. وافرحتاه ! ..

نرسيس : تلك الزهرة المقفلة التى كان لابد لها من قطرات الندى لتتفتح ! ...

إيسمين : أوَتساقطتْ هذه القَطرات ؟ ...

نرسيس : من عينيكِ .. يوم فاجأتكِ ذلك المساء تبكين ... فسألتك عن بكائك فقلت :

لفراق جزء من نفسك هو خيرها عندك ، حملها أحد الناس وذهب .. فسألتكِ عن هذا الرجل أهو

يعرف ما حمل ؟ .. فقلتِ :

« ليس من الهين أن يعرف ، ولكنك لن تقنطى منه .. فهو لابد شاعر يوما بما يحمل .. لأن الإنسان لا يستطيع أن يجهلَ طويلاَ أنه يحمل شيئاً ثميناً ... »

إيسمين : أأنا قلتُ لكَ هذا كلّه ؟ ...

نرسيس : لقد كنتِ تتكلمين فى همسٍ ؛ كأنما الألفاظُ تخرجُ من قلبك ؛ عن غير طريق شفتيكِ ! ...

إيسمين : كيف رأيتَ هذا ؟ ..

نرسيس : لست أدرى .. لقد شعرتُ عندئذ بذلك الحملِ الثمين ! ..

إيسمين : وكيف كتمتَ عنّى كل هذا ؟ ...

نرسيس : عجباً لك يا إيسمين ؟ .. كيف أتكلم وأنتِ دائماً تضعينَ يدكِ على فمى ! ..

إيسمين : ما كنت أصدق ! ..

نرسيس : أنا أيضا ما صدَّقت بادئ الأمر كل ما بى ، ولكنه شىء أقوى منى ! ...

إيسمين : نعم .. إنه دائماً .. شيء أقوى منا كثيراً ! ...

نرسيس : أتدرين لماذا ؟ ..

إيسمين : تكلم أنتَ يا نرسيس! .. تكلم ..

نرسيس : لأنه يجعلني أرى ما لم أرَ من قبل ! ..

إيسمين : ماذا ترى الآن يا نرسيس ؟ ..

نرسيس : أخبريني يا إيسمين .. هل كنتِ دائماً كذلكِ ؟ ..

إيسمين : وما قيمة ما كنتُ ؟ .. إني أكون عندما يتفتح قلبكَ ليراني...

نرسيس : هلمي بنا يا إيسمين ! ...

إيسمين : إلى أين ؟ ..

نرسيس : إلى أي مكان .. أنا أيضاً ينبغي لي أن أنسى من كان وما كان .. حتى لا أعيشَ إلا لكِ وبكِ !..

إيسمين : هلم بنا يا نرسيس العزيز ! ..

(يمضيان نحو الباب وهما شبه متعانقين ... يظهر أپولون وڤينوس في النافذة .....)

إپولون : **(همساً لڤينوس مشيراً إلى إيسمين الخارجة)**

انظرى ! ... مَن هذه المرأة ؟ ..

فينوس : امرأة قد استطاعتْ أن تخلقَ بالحب !! ..

أپولون : عجباً ! .. كما استطاع پجماليون أن يخلق بالفن !! ..

فينوس : كما ترى ..

أپولون : امرأة فانية ! ...

ڤينوس : (**باسمة**) .. هنا السر ! ..

أپولون : ما قوة الحب التى يستطيع بها هو أيضاً أن يخلق ؟ ..

ڤينوس : (**فى زهو وخيلاء**) هنا سرُّنا ! ...

أپولون : (**بعد لحظة**) ما أجدر أحدَهما بالآخر ! ... إنهما من طراز واحد ! ...

ڤينوس : طراز الخالقين ! ...

أپولون : أتساءل لماذا لم يحب أحدهما الآخر ؟ ..

ڤينوس : ولماذا نحنٍ لم يحب أحدنا الآخر ؟ .. يا أپولون لقد شغفتَ أنت بكليمين ، وهى من فصيلة المخلوقين !! ..

أپولون : وشغفتِ أنتِ بأدونيس ، وهو بَشر فانٍ ؟ ..

فينوس : لا تعجب إذن أن يحب إلٰه مخلوقه .. إنى لأراه طبيعياً هذا الحب بين نوعين مختلفين !.. بل لعل هذا هو الوضع المعقول ، مخلوقاتنا هى صنعتنا .. إنما نعجب بصنعتنا فى هذه المخلوقات .. بل هى شىء منا .. إنما نولع بصورتنا ونهيمُ بأنفسنا فى هذه الكائنات ! ...

أپولون : يا للخجل ! .. لا تقولى ذلك يا ڤينوس بهذه الصراحة !.. إنها الأثرة إذن وحب الذات ! ...

ڤينوس : ما نحن إلا سجناء هذه الذات ! .. وأنت الذى قالها قبلى يا أپولون .. ألا تذكر ؟ .. ألست أنت القائل إن پجماليون استطاع ما لم نستطع ، فسما على ذاته ، وحطم أسوارها يوم أبدع — وهو الهالك — ذلك الخلود ! ..

أپولون : لست أدرى هل يتاح لى أن أقول ذلك عنه اليوم ؟! .. إنه يفعل الآن مثلنا ! .. يسجن ذاته فى حب مخلوق من صنع يده .. لقد نجحنا فى قص أجنحةِ سموِّه .. لقد هبطنا به إلى مستوانا .. لقد حبسْنا تحليقَه غير

المحدود فى كِيان محدود.. » نعم .. إنى أستطيع اليوم أن أقول إنا انتصرنا عليه ! ..

فينوس : وأى انتصار ؟! ..

أبولون : ولكن .. يجب أن تعترفى أن الفضل لى ! ..

فينوس : عفواً يا أبولون .. عفواً .. بل الفضل لى أنا ! ..

أبولون : يا لنكران الجميل ! .. قلت لكِ إنه طبع المرأة يجثم أبداً فى أعماق نفسك ! ..

فينوس : نكران الجميل؟ .. أى جميل ؟ ..

أبولون : ألم تطلُبى المعونة .. وتسألى المددَ ، وتلحى علىّ فى التدخل لإنقاذكِ مما وقعتِ فيه ؟! ..

فينوس : لم أطلب إليك إنقاذاً ، وإنما دعوتك إلى إظهار براعتك .. هذا كل ما فى الأمر ! ..

أبولون : براعتى ! .. فليكن الأمر كما تقولين .. ها هى ذى النتيجة .. نجاح ليس بعده نجاح ! ..

فينوس : عفواً يا أبولون عفوًا !.... ليس كل هذا النجاح لك ! .. لا تتجاهل ما صنعت أنا أيضاً بعد ذلك ! ..

أبولون : بعد ذلك ؟! ..

فينوس : أوَكنتُ من الحمق بحيث أتركك وحدك كما تركتنى أول الأمر .. إنك حقاً جعلت جالاتيا تفهم بجماليون وتعجب به .. هذا كل ما تستطيع أنت .. هل تستطيع أنت أكثر من هذا ؟..

أبولون : ومـــاذا صنــعتِ أنتِ إذن بعـــد ذلك ؟ ..

فينوس : كل هذا الحب الملتهب الذى يغمرهما الآن بلذاته ومُتعِه ومسراته .. كل ما عندى من حيلة بذلتها .. وكل ما عند كيوبيد من سِهام أمرته فرشَق بها جسديهما ! ..

أبولون : عجباً !... إذن كنا نتبارى فى حشد ما لدينا مــن سلاح ! ..

فينوس : إنها كما تعلم كانت الموقعة الأخيرة !..

أبولون : أجل ! .. لم يبق إلا أن يقر لنا بالفضل وهو جاثٍ على ركبتيه ! ..

فينوس : بى شوق أن أرى وجهه المشرق بالسعادة ! ..

أبولون : سترينه بعد لحظةٍ .. إنهما الآن فى طريق العودة ؟ ..

ڤينوس : سعادته هى من صنعى .. لقد استحقت بَخوره وقرابينه ! ..

أپولون : لو كانت لديكِ ذرةٌ من العدالة والإنصاف !.. ولكنهما ليسا فى طبيعتك ! ..

ڤينوس : من صنعنا .. أنا وأنت .. ما دام هذا يرضيك ! ..

أپولون : أوَ لم نقل إننا تعاونا .. ؟

ڤينوس : طبعاً ! .. طبعاً ! .. طبعاً ! .. صه ! .. إنهما قادمان ..

أپولون : لا تدفعينى هكذا بمنْكبِك .. فى المكان متسع !..

ڤينوس : صه ! .. أريد أن أرى بسمة الهناء تملأ فمه ! ..

(يفتح الباب ويدخل پجماليون وخلفه جالاتيا وهما صامتان فاتران)

پجماليون: (**يتثاءب تثاؤباً طويلا**) ؟ ..

أپولون : (**همساً لڤينوس**) هذه علامة لا تسر ! ..

جالاتيا : (**فى عتاب**) ما هذا يا پجماليون ؟ ..

پجماليون: (**وهو يجلس على مقعد فى تراخ وكسل**) المعذرة !..

جالاتيا : (**تفحص بيدها الرياش والأثاث**) ما أقذر الدار ! .. منذ غادرناها وهى مهملة ! .. انظر لقد تراكم الغبار على الفراش ! ..

بجماليون: (**لا يبدو عليه أنه معنى بكلامها**) ؟ ..

جالاتيا : (**تتجه إلى أحد أركان الدار وهى تقول كالمخاطبة نفسها**) أين المكنسة ؟ ..

بجماليون: (**يفيق ويلتفت إليها**) ماذا تقولين ؟ ..

جالاتيا : لا شيء .. لست أخاطبك أنت ..

بجماليون: حسنا فعلت ! ...

جالاتيا : (**تلتفت إليه دهشة**) بماذ ؟.. بعدم مخاطبتى إياك ؟ ..

بجماليون: لست أقصد ذلك .. تكلمى إذا شئت ..

جالاتيا : (**وهى تكنس**) لا يبدو عليك قط أنك فى اشتياق إلى حديثى ! ...

بجماليون: أتكنسين الآن ؟ ..

جالاتيا : أتظن فى الإمكان أن نعيش هكذا بين هذا الغبار ؟ ..

بجماليون: (**يتأملها ملياً ، ويقول كالمخاطب لنفسه**) آه .. وفى يدها مكنسة ! ...

جالايتا : (**تلتفت إليه**) ماذا تقول ؟ ..

بجماليون: لا شىء ! ... لا شىء ! ...

جالاتيا : ألك فى أن تصنع الآن شيئاً مفيداً ؟ ..

بجماليون: ماهو ؟ ..

جالاتيا : انتقل بمقعدك إلى هذا الركن النظيف الذى فرغت من كنسه ! ..

بجماليون: أف ! ..

(**ينهض بمقعده إلى جهة أخرى**)

جالاتيا : عفواً إذا كنتُ قد كلفتُك كل هذا الجهد ! ..

بجماليون: لماذا هذا التهكم ؟ ..

جالاتيا : أنا تهكمت ؟.. أرجو منك أن تعلم أن كلامى لك ينطوى دائماً على أجمل معانى التقدير ! ..

بجماليون: معانى التقدير لمحتها فى عينيك هذا الصباح ، وأنت تنظرين إلى أولئك الحطابين فى الغابة ، والعرق يتصبَّب

من جباههم ! ..

جالاتيا : كل كدٍ جديرٌ بالتقدير ! ..

بجماليون: كل زوجة لا تستريح حتى ترى جبين زوجها يتعفَّر بتراب العمل والشَّقاء ... إنكِ تعرفين أنى لست فى حاجةٍ إلى أن أعمل وأشقى ..

جالاتيا : ومن ذا يطلب إليك ذلك ؟ ..

بجماليون: نظراتك وإشاراتك ...

جالاتيا : إنك صرت ملولاً شديد السَّأم يا بجماليون ! ...

بجماليون: بل إنى لشديد الصبر أكثر مما ينبغى ..

جالاتيا : ولماذا أكثر مما ينبغى ؟.. ما يرغمك على الصبر إرغاماً ؟! ..

بجماليون: (**فى حدة**) ماذا تريدين أن أصنع ؟..

جالاتيا : بجماليون العزيز ! .. أخرج كل ما فى صدرك من أشياء .. إنى أحس أنك فى ضيق .. وأنك تحاول أن تخفى عنى ضجرك .. لا تكتمنى شيئاً من أمرك يا بجماليون ! .. ثق أنى لن أغضب عليك ... فأنا لا

شيء يغضبني عليك ، وثق أني سأفعل المستحيل لأرد الراحة إليك ، فأنا لا عمل لي في الحياة إلا أن أعطيك الراحة والطمأنينة والهناء ... ألحياتي غرض آخر غير هذا ؟! ..

بجماليون: (**يهدأ قليلا**) شكراً لكِ يا « جالاتيا » العزيزة ! ..

جالاتيا : (**تدنو منه**) إنك في حاجة إلى الراحة .. الإقامة في الكوخ لا تلائمك .. هنا يا بجماليون أعرف كيف أحيطك بكل عنايتي ! .. من يدري لعل شمس الغابة التي كنا نتعرض لها طول النهار ! ..

بجماليون: كلا ... ليست الشمس ! ..

جالاتيا : (**تضع خدها على جبينه**) جبينك حار بعض الشيء ! ..

بجماليون: أترين ذلك ؟ ..

جالاتيا : (**تجس يديه**) ويداك أيضاً .. يجب أن أعد لك فراشك لتأوي إليه ! ..

بجماليون: الآن .. لا .. لا أريد النوم الآن ! ..

جالاتيا : لا تنم إذن .. استلق بجسمك على الفراش .. وأنا .. أحضر إليك شراباً من عصير الفاكهة ... وأجلس عند قدميك هكذا .. أحادثك حتى تنام ! ...

بجماليون: (**يعبث بشعرها وهى جاثية عند قدميه**) ما أطيبكِ يا جالاتيا ! .. إنى أحبك .. نعم .. أحبك على الرغم من كل شىء ! ..

جالاتيا : (**ترفع عينيها**) على الرغم من كل شىء ؟ .. ماذا تعنى ؟! ..

بجماليون: لست أعنى شيئاً .. إنما هى كلمات نلفظها دون أن ندرى لماذا لفظناها ...

جالاتيا : أنا أدرى لماذا لفظتها ؟ ..

بجماليون: لا أظن أنك تدرين بما لا أدرى به أنا نفسى .. لا تشغلى بالك أيتها العزيزة بما تلفظ الأفواه من كلمات .. إنما جعلت لنا هذه الفوهة لنخرج منها دخانا من الحماقات ! ..

جالاتيا : دخان ينذرنا أحيانا بما فى جوف البركان ! .. ومع

ذلك .. سأفعل ما تريد .. لن أشغل بالى بغيرك أنت !..

بجماليون: وحتى هذا .. لا تغالى فيه ! ..

جالاتيا : آه يا عزيزى بجماليون ! .. ألم أقل لك إنك تتبرم بكل شىء الآن ! .. حتى بحبى لك ..

بجماليون: هذا غير صحيح ! .. إنى أمنعك عن التحدث هكذا .. إنكِ لتزيدين فى ألمى بمثل هذا الكلام ..

جالاتيا : أزيد فى ألمك لو أنى كنت جديرة أن تخبرنى بهذا الألم ؟! .. متى تأذن على الأقل فى أن أضمِّد جراح نفسك ؟ ..

بجماليون: جراح نفسى ؟.. من الذى أخبركِ أنى جريح ... وأنى متألم ؟ ... هل شكوت ؟ ... هل توجعت ؟ ... من أين تأتين بهذه الهواجس والأوهام ؟! ..

جالاتيا : (**تنهض وتعود إلى مكنستها**) سأفعل ما تريد .. سألزم الصمت ... إنى ولا ريب أسأت الفهم ! ..

بجماليون: إنَّا دائما نسىء فهم أنفسنا .. خير الأمور — فيما

أرى ـــ ألا نطلب هذا الفهم أو نحاوله إذا أردنا لأنفسنا السلام ! ..

جالاتيا : لن أحاول .. إذا جعتَ فأخبرنى لأهيئ لك الطعام .. يخيل إلىّ أن فى مقدورى أن أبتدع لك لوناً منه لم تذق مثله .. إنه من مختلف الخضر ، منسقة تنسيقاً تُسرُّ له العين قبل أن يستسيغه الفم ! ..

(**لحظة صمت** ...) ..

بجماليون: (**وهو فى إطراقه**) مـا رأيك فى أن أعـــود إلى العمل ؟! ..

جالاتيا : (**تلتفت سريعاً**) العمل ؟ ..

بجماليون : (**كالمخاطب لنفسه**) هو الذى يُشعر الإنسان بأنه لم يلق السلاح بعد ..

جالاتيا : (**تتنهد**) آه .. يا بجماليون ! ..

بجماليون: (**يرفع رأسه**) ماذا تقولين أنت فى ذلك ؟ ..

جالاتيا : لقد حسبت أنه خير علاج لما أنت فيه .. لكن افعل ما يروق لك ! ..

بجماليون: ماذا أعمل ؟.. إنى لن أصلح بالطبع حطّاباً فى الغابة ! ...

جالاتيا : إنك خالق ! ...

بجماليون: نعم ! ... وأين هى الآن أدوات الخلق ؟ ...

جالاتيا : ماذا ينقصك ؟ .. ها هى ذى القاعدة !! .. ضع عليها كتلة من الرخام ... أو من العاج ! ..

بجماليون: صه أيتها المرأة ! ...

(يضع رأسه بين كفيه ... ...)

جالاتيا : أترانى أسأت القول يا بجماليون العزيز ؟ ...

بجماليون: آه ... ليت هذا وحده يكفى لأن نسوى مخلوقاً فنياً ! ...

جالاتيا : لديك العبقرية دائماً ...

بجماليون: العبقرية ؟ .. نعم ... بجوادها الطائر قوى الجناح المحلق فى سماء غير متناهية الأطراف ! ...

جالاتيا : لديك هذا الطائر يا بجماليون ! ..

بجماليون: ربما .. ولكن أين هى السماء ؟ ...

جالاتيا : ماذا تقول ؟ ...

بجماليون: ما فائدة الطائر بغير سماء ! ..

جالاتيا : فهمت ما تعنى ... يا للكارثة ! ...

بجماليون: نعم .. إنها الكارثة ! ..

جالاتيا : أخشى أن أكون أنا السبب يا بجماليون ! ..

بجماليون: لا .. بل .. بل ...

جالاتيا : بل ... من ؟ ...

بجماليون: (**كالمخاطب لنفسه**) أولئك الذين استطاعوا الإتيان بهذه المعجزة : أن يحولوا السماء إلى سقـف ، وأن يجعلوا الجواد الطائر يصفق بجناحيه داخل حجرة ! ..
هذا هو كل انتصارهم ! ..

جالاتيا : عمن تتكلم يا بجماليون ! ..

بجماليون: (**صائحاً ثائراً**) أولئك الذين سلبونى فنى ..

جالاتيا : ولكن فنك باقٍ ! ..

بجماليون: أين هو ؟ .. أين هو ؟ ..

جالاتيا : لقد صنعت فى الفن أثراً ..

بجماليون: أين هو ؟ ... أين هو هذا الأثر ؟ .. أين هو ؟ ..

جالاتيا : آه .. ليس من السهل علىّ أنا أن ...

بجماليون: هذا الأثر هو ... أنت .. أليس هذا ما تقصدين ؟ ..

جالاتيا : ذلك ما كنت أظن ...

بجماليون: لا ! ..

جالاتيا : لا ؟ .. لستُ أنا جالاتيا ؟ ..

بجماليون: لست أنت أثرى الفنى .. إنى لم أصنع امرأة فى يدها مكنسة ! ...

جالاتيا : (**تنظر إلى المكنسة فى يدها وتداريها فى خجل وألم**) آه ! ..

بجماليون: (**يهدأ قليلا**) معذرة يا جالاتيا ... إنى آسف كل الأسف .. إنى لم أرد إيلامك ولا إيذاءك .. و لم يخطر على بالى الانتقاص من تقديرى لك واحترامى إياك .. إنما .. .. إنما ..

جالاتيا : لا تهتم لأمرى يا بجماليون .. إنى أفهم مرادك ، وأدرك ما يجول فى خاطرك ! ..

بجماليون: يا زوجتى المحبوبة .. إنكِ خير زوج ، وأصلح رفيق ، وأصدق صديق ! ..

جالاتيا : نعم .. ولكنى لست عملك الفنى .. إنك لعلى صواب يا بجماليون ! ..

بجماليون: ليس الذنب ذنبك يا جالاتيا .. إنها الحياة .. جعلتك كما أنت الآن ! ...

جالاتيا : أقل جمالا من أثرك الرائع ! ..

بجماليون: إنى أحبك على الرغم من ذلك ..

جالاتيا : نعم .. ولكن .. حبٌ فقيرٌ بخسٌ عقيم .. حب خليق بالحجرة المغلقة والسماء التى يحدها سقف .. حب لن يغنيك عن ... عن .. جالاتيا الأخرى ! ..

بجماليون: (**يضع رأسه بين كفيه**) ! ..

جالاتيا : (**تمر بأناملها على شعره فى حنان ومودة**) يؤلمنى أن أراك حزينا يا بجماليون ...

بجماليون: (**كالمخاطب لنفسه**) نعم أنت زوجتى المحبوبة .. ولكنك لست .. أثرى الخالد ! ..

جالاتيا : يسرنى أيها العزيز أن تعلن إلىّ هكذا كل خلجات قلبك ! ..

بجماليون: وفيم المكابرة ما دمت قد شعرت بما يكاد يمزق نفسى قطعتين .. ويشطرها شطرين .. نعم .. أنتما الاثنان تتجاذبان قلبى .. أنتما الاثنان تتصارعان .. هى بارتفاعها وجمالها الباقى .. وأنت بطيبتك وجمالك الفانى .. هى الفن ، وأنت الزوجة ! ..

أيتها الآلهة ! .. لقد أخذتم منى فنى، وأعطيتمونى زوجة ..

(يأخذ رأسها فى كفيه ويتأمله وهى جاثية عند قدميه ..)

إنى صنعتك هكذا حقاً يا جالاتيا .. هذا الجسم .. وهذا الرأس .. وهذا الوجه .. لكن .. ما الذى تغير فيك مع ذلك ؟ .. أتدرين كيف صنعت جالاتيا العاجية ؟ .. لقد حملنى ذلك الجواد المجنح فى سماء المثل الأعلى .. حلّقت ، حلّقت حتى تعبت

الأجنحة وكلت عن متابعة التصعيد .. هناك بين أمثلة الجمال المختلفة تحيرت وانتقيت .. وعدت لجالاتيا بأكمل الصور وأجمل النظرات ، وأحلى البسمات ، وأروع اللفتات .. ثم نبذت ونحيت .. فجعلت جالاتيا منزهة عن كل نقص وكل سهو وكل سخف .. إنها الجمال مقطراً من خلال ألف مصفاة من الصبر الطويل ، والعمل المضنى ، والتجربة المتصلة .. ولقد ثبَّتُّ ذلك كله فى العاج وخلدته .. لا تتألمى يا زوجى العزيزة .. لم يذهب كل هذا الجمال عنك .. لا .. لكن ما الذى تغير فيك مع ذلك ؟ .. نظراتك جميلة .. نعم .. ولكن فيها شيئاً محدود المعنى .. أما نظراتها فكانت كأنها تشرف على عوالم غير محدودة الآفاق .. لفتاتُك رائعة ، ولكن تفسدها أحياناً حركة طائشة ، أما لفتاتها فكانت دائمة الروعة والجلال .. بسماتك حلوة ، ولكن ... أعرف ما تنطوى عليه ! .. وشفتاك رقيقتان ، ولكن

أعرف ما ينفرج عنهما من حديث ، وما يمكن أن ينطبع عليهما من قبلات ! .. أما شفتاها فكانتا تنفرجان عن كلمات لم تقلها قط ، ولن تقولها أبداً ، ولكن لها صدى بعيد ، يتغلغل فى كل قلب إلى الأغوار التى لا يدرك لها قاع .. وفمها يوحى بقبلات لم تمنح قط ولن تمنح أبداً ، ولكنها تتراءى للأعين دائماً ، وتثير النفوس دائماً على مدى الأزمان .. هذا هو الفرق بينك وبينها : كل ما فيك محدود ، وكل ما فيها غير محدود !..

جالاتيا : (**فى صوت خافت وإطراق ذليل**) صدقت يا بجماليون ! ..

بجماليون: إياك أن تذعى هذا الكلام يجرح نفسك .. إنى لا أريد إذلالك أنت يا زوجتى العزيزة !.. إنما أسوق الكلام إليهم هم .. فى عليائهم ! .. سكان أولمب .. هه ! .. سكان أولمب الجبابرة !.. أولئك الخالدون الذين لم يستطيعوا أن يصنعوا غير الهالك المحدود .. أما

أنا الهالك المحدود فقد استطعت أن أصنع الخلود ! ..

يا سكان أولمب ، فى إمكانكم أن تعجنوا ذلك المزيج من الجمال والقبح والنبل والسخف والارتفاع والابتذال وتسمّوا ذلك الحياة ! .. ولكنكم لن تستطيعوا أبداً أن تصنعوا مثلى ذلك الشيء المقطر المصفى الذى يسمى الفن .. نعم .. الفن هو قوّتى أنا البشر الفانى .. هو جبروتى .. هو معجزتى .. هو سلاحى .. فى إمكانى أن أقيس قامتى إلى قامتكم ، وأن أنتضى سلاحى لأقرع به سلاحكم .. سلاحكم الحياة وسلاحى الفن ! ..

(تبدو من ڤينوس فى النافذة حركة ، فيبادر أپولون بوضع أصبعه على فمه مسكتاً إياها .. ..)

جالاتيا : **(الدموع فى عينيها)** إنى فخورة بك يا پجماليون فإن خير ما فىّ هو من صنعك .. ولكن ..

پجماليون: أتبكين ؟ ..

جالاتيا : لا أريد أن تبغضنى .. لست أحتمل فكرة بغضك

لى .. إنى أفهم الآن كل ما قلت .. إن مقامى هنا على هذه الصورة مستحيل .. إنى لست من عملك الخالص كما ذكرت .. إنك تنظر إلىَّ ، وفمك يكاد يرمينى فى كل لحظة بهذه العبارة القاسية ؛ يا للبشاعة !.. يا للجريمة ! ... لقد تشوه عملى ! ... أتحسبنى أطيق قولك هذا طويلا ؟ !..

بجماليون: لا تبكي يا جالاتيا .. ألم أقل لك إنى لست ناقما عليك أنت ! ..

جالاتيا : بل إنك لناقم علىّ .. بل إن كل يوم يمضى تتسع معه الهوة بينك وبينى .. إن وجودى معك لن يفتر يذكرك بأثرك الضائع وفنك المفقود .. بجماليون ! .. يجب أن نفترق ! ..

بجماليون: نفترق ؟! ..

جالاتيا : منذ الآن ! .. هذا خير لى ولك .. إنى لن أحتفظ حتى بهذه الصورة طويلا .. إنى فى كل يوم أسير خطوة نحو الهرم .. إنى لن أتحمل عينيك ، وهما تنظران إلى

جسمي ووجهي بعد سنوات ؟! .. جنِّبني هـذا الإذلال ، ووفر عليّ هذه الصدمات ..

بجماليون: تهرمين ؟! ..

جالاتيا : ألم تفكر فى ذلك يا بجماليون ؟ .. أليس شَعري معرضاً للشيْب ووجهي للتجاعيد ، وجسدى ..

بجماليون: كفى .. يا جالاتيا ! ..

جالاتيا : أرأيت ؟ .. إنك لا تستطيع أن تتخيل ذلك ! ..

بجماليون: (**فى همس**) لا أستطيع ! ..

جالاتيا : لقد لفظت الحقيقة الساعة يا بجماليون ! .. إنى لست عملك الفنى ! .. ولا أستطيع أن أكون كذلك .. ينبغي أن تفكر فى شيء آخر أيضا .. هـو احتمال موتى ! ..

بجماليون: موتك ! ..

جالاتيا : وبه يمحى كل أثر لعبقريتك ! ..

بجماليون: (**كالمخاطب لنفسه**) موتك ! ... لا .. لا يمكن أن أطيق ذلك ! ..

جالاتيا : أعرف هذا .. لا لأنك تحبنى .. بل لأنها صدمة لكبريائك الفنى ! ..

بجماليون: (**كالمخاطب لنفسه**) عملى الجميل يتحول إلى تراب ! ..

جالاتيا : أرأيت ؟ ..

بجماليون: وجهادى الطويل ؟ !..

جالاتيا : وما اختلسته من قبسات النور فى سماء المثل العليا ، وأنت على جناحى الجواد الطائر ؟!.. وما تخيرته وانتقيته من خير نماذج الجمال وأروع أشكال الكمال .. كل ذلك يقدّم وليمة فاخرة لدود المقبرة !..

بجماليون: ويل لسكان أولمب ! .. حسبك يا جالاتيا ! .. كفى .. كفى .. لماذا تعذبيننى بكل هذا الآن ؟ ..

جالاتيا : لست أدرى يا بجماليون .. مغفرة ! .. إنها حماقات تخرج من فمى دون أن أعنى بها شيئاً .. إنما أشعر مع ذلك شعوراً خفياً أننا سنفترق .. لست أدرى كيف ؟ .. فأنا لا أستطيع أن أغادرك راضية أو

كارهـة .. وإذا افترقنـا فـإلى أيـن أمضى بعيـدة عنك ؟! .. كـلا .. أرجـو أن يكـون شعـورى كاذباً .. وأغلب الظن أنه كذلك .. هلم فلنتحدث فى شيء آخر أيها العزيز پجماليون ! .. لقد أطلنا الكلام فى أشياء قـاتمة سوداء .. قبِّلنـى يـا پجماليـون أيها الحبيب ! .. قبلات كثيرة كـثيرة .. فـإنى أخشى أن ..

پجماليون: (**شارد الذهن**) نعم ! ..

جالاتيا : پجماليون ! .. مـاذا بك ؟ .. ماذا دهاك ؟ ..

پجماليون: (**ينهض بقوة**) إنى أعرف الآن ما ينبغى أن أسلك من طريق ! ..

جالاتيا : (**فى قلق**) إلى أين تمضى ؟ .. إلى أين تمضى ؟ ..

پجماليون: (**شارد الذهن يتجه إلى الباب**) إلى المعبد !...

جالاتيا : (**هامسة خائفة**) المعبد ؟ ..

پجماليون: (**يعود إلى جالاتيـا ويمسك بها**) جالاتيـا ! .. جالاتيـا ! .. قبلينـى كـثيراً .. ولأقبـلك قبـلات

كثيرة ... كثيرة ... وداعا ..

(**يتعانقان طويلا** ...)

(**يخرج سريعــاً .. وتبقــى جالاتيــا جامــدة شاحبة** ....)

جالاتيا : (**تقع منهوكة على قاعدة التمثال بقربها وهى تهمس**) :
وداعا ! ..

(**تضع رأسها بين كفيها** ...)

بجماليون: (**فى الخارج صائحاً**) أيتها الآلهة ! .. يا ڤينوس ! ..
يا أپولون ! .. ردوا إلىّ عملى وخذوا عملكم ! ..
ردوا علىّ فنى .. أريدها تمثالا من العــاج كما كانت ! ..

(... **ڤينوس تلتفت إلى أپولون**)

ڤينوس : أسامع ؟ ..

أپولون : نعم ! ..

ڤينوس : والآن ؟ ..

أپولون : ليس هناك غير أمر واحد : نسحب مالنا ونعطيــه

ماله ! ..

ڤينوس : ونسلم بهزيمتنا !..

أپولون : أوَنستطيع أن نفعل غير ذلك ! .. إنه يطلب رد تمثاله كما كان .. فلنرد د عليه تمثاله كما كان !..

ڤينوس : (**تمد يديها نحو جالاتيا المطرقة**) ارتفعى عن جالاتيا أيتها الحياة ! .. واتركيها تمثالا من عاج ! ..

(**... جالاتيا تجمد فوق القاعدة**).

أپولون : (**يمد يديه نحو جالاتيا الجامدة**) :

عد كما كنت يا فن پجماليون ! .. وسوِّ التمثال كما كان ! ..

(**... جالاتيا تتخذ الشكل الذى كانت عليه من قبل فوق القاعدة الرخامية ... ...**)

الفصل الرابع

(الغابة تزأر فى ظلام ليلة حالكة .. والأشجار تترنح من الريح كالمردة الثائرة . ونرسيس فى بهو الدار قد جلس إلى جوار الستار .. وهو مطرق كالناعس .. وجوقة الراقصات التسع فى غلائل قاتمة يتهادين مقتربات من النافذة ...)

* * *

الجوقة : (**من خارج النافذة هامسات**) نرسيس ! ..

نرسيس : (**يلتفت إليهن هامساً وأصبعه على فمه**) صه ! ..

الجوقة : (**فى همس**) ماذا به ؟ ...

نرسيس : (**هامسًا**) إنه نائم ! ..

الجوقة : (**هامساً**) أهو مريض ؟ ...

نرسيس : أصابه برد خفيف ! ...

الجوقة : من أثر خروجه ليلا إلى كوخ الغدير ! ..

نرسيس : كفى ثرثرة أيتها النساء ! ..

الجوقة : ما هذا العنف فى معاملتنا يا نرسيس ؟.. إنك لم تعد زهرة رقيقة ؛ بل صرت رجلا وحشىَّ الطباع ! ..

نرسيس : أأغلق هذه النافذة فى وجوهكن ؟ ..

الجوقة : هذه النافذة لم تغلق قط فى وجوهنا ؛ لأن بجماليون يقدر الجمال ! ..

نرسيس : أنا أيضاً أقدر الجمال .. ولكنى أزدرى الجميلات .. انصرفن الآن ! ..

الجوقة : حتى إيسمين ؟ ..

نرسيس : إنه ليست خيراً منكن ! ..

الجوقة : لا أمل فيك يرتجى ! .. كنا نحسبها قد فتحت عينيك لترى — على الأقل — جمال المرأة ! ..

نرسيس : لقد رأت عيناى منها أكثر مما ينبغى ..

الجوقة : وأين هى الآن ؟ .. أهجرتها ؟ ..

(صوت سعال يرتفع من خلف الستار)

نرسيس : أرأيتن ؟ .. إنكن تزعجن نومه ..

الجوقة : (**فى همس**) فلنذهب إذن .. فلنتصرف !..

(يغادرن النافذة وينصرفن راقصات مع الرياح ....)

پجماليون: (**صائحاً من خلف الستار**) نرسيس ! .. اسقنى ! ...

نرسيس : (**يهرع نحوه**) استيقظت يا پجماليون ؟ !..

پجماليون: (**يظهر فى رداء النوم وعلى منكبيه غطاء**) أخبرنى أولا .. خيِّل إلى أنى سمعت صوت امرأة هنا !..

نرسيس : امرأة ؟! ..

پجماليون: مع من كنت تتحدث إذن ؟ ..

نرسيس : هؤلاء الفتيات الثرثارات ! ..

پجماليون: (**وهو يجلس على مقعده**) لا تضق ذرعا بهن يا نرسيس ! ..

نرسيس : أتراها جديرة أن نكرس لها كل هذه الأحاديث ؟ ..

بجماليون: إنها امرأة ذكية فطنة .. ألا ترى هذا ؟ ..

نرسيس : ليس هذا سبباً يكفي ؛ لأن نُسرف فى تقديرها ..

بجماليون: وهى تحبك أجمل الحب ! ..

نرسيس : ليس للنساء عمل فى الحياة غيرُ الحب ! ..

بجماليون: آه ! .. نعم ! .. هذا مع ذلك ليس بالشىء القليل ! ..

نرسيس : لم أعد أرى الأمر كما تصف ! ..

بجماليون: ويحك يا نرسيس ! .. تلك التى بصَّرتك بأشياء ، وجعلت منك إنساناً ذا فهم وإدراك .. يا لنكران الجميل ! .. أهكذا دائماً كلما فتحتْ أعيننا العمياء يد ، نبدأ أول ما نبدأ بأن نراها أصغر مما كنا نتخيل ؟! ..

نرسيس : لست أسمى هذا إنكاراً للجميل !..

بجماليون: ماذا تسميه إذاً .. كبرياء مواهبنا المتيقظة المدركة لذلتها ؟! ..

نرسيس : (**ينظر إليه مليا**) ما أرفقك اليوم بالنساء ! ..

بجماليون: (**ينظر حوله فى ضيق**) أف !.. لقد سئمت هذا المكان ! ..

نرسيس : لا يحسن أن تغادر فراشك بهذه السرعة والليلة باردة والريح تهز الأشجار منذرة بعاصفة !.. إنك فى حاجة إلى النوم الهادئ والغطاء الدافئ لتسير نحو الشفاء ! ..

بجماليون: لماذا تخاطبنى كأنى مريض ؟ ..

نرسيس : أنت كذلك منذ أيام !..

بجماليون: يا لك من أحمق ! ..

نرسيس : لم أعد أحمق .. لقد أفرطت فى الخروج ليلا يا بجماليون ! ...

بجماليون: ألم أحرِّم عليك التدخل فى شئونى ؟! ..

نرسيس : ثق أن لا شيء يعنينى الآن من أمرك غير صحتك ! ..

بجماليون: حدِّثنى أنت عن نفسك .. ما خبرك مع إيسمين ؟ ..

نرسيس : لقد سألتنى عنها منذ أيام فأخبرتك ..

بجماليون: حقاً .. حقا .. ومع ذلك حدثنى عنها أيضا ..

نرسيس : أتعنينى أنا يا بجماليـون ؟ .. لماذا توجـه إلىّ هـذا الكلام ؟! ..

بجماليون: قليلا من الهدوء يا نرسيس ! .. قليلا من الهدوء ! .. أين هى الآن .. إيسمين ؟ ..

نرسيس : لست أدرى ! ..

بجماليون: إنها حية على أى حال ! ..

نرسيس : أرجو ذلك ! ..

بجماليون: وهى ما زالت تحمل لك بعض المودة على الأقل ! ..

نرسيس : أظن ذلك ! ..

بجماليون: (**مطرقا كالمخاطب لنفسه**) نعم .. نعـم .. المودة والرحمة .. أشياء تعطيها الحياة .. ولا يستطيـع أن يعطيها الفن ...

نرسيس : (**ينظر إليه ملياً**) ؟ ..

بجماليون: (**يرفع رأسه نحوه**) لماذا تحملق فىَّ هكذا ؟ ..

نرسيس : لا .. لا شىء ..

بجماليون: أيسوءك أن أتكلم فى هذا ؟ ..

نرسيس : كلا .. على الإطلاق .. لست أحرم عليك الكلام فى شئونى ! ..

بجماليون: شكراً لك يا نرسيس ! ..

نرسيس : إنى أعلم أن الكلام فى هذا الموضوع يعطيك كثيراً من الراحة ! ...

بجماليون: (**يرفع نظره إليه**) ماذا تعنى ؟..

نرسيس : (**فى خبث**) إيسمين امرأة حية على أى حال .. والمرأة الحية ليست بالشيء القليل ! ..

بجماليون: (**يطرق**) اسقنى يا نرسيس ! ..

نرسيس : معذرة !.. لقد نسيت أن آتى إليك بالماء ... تريد شربة من ماء ؟ ..

بجماليون: لا أستطيع أن أسألك شراباً آخر ! ..

نرسيس : ولِمَ لا ؟ .. إذا طلبت شراباً من عصير الفاكهة ! ..

بجماليون: (**فى عنف**) صه ! ...

نرسيس : أتُــرانى تفوهتُ بما لا ينبغى يا بجماليون ؟ ..

بجماليون: (**بعد تردد**) حدثنى فى شأنك أنت .. أخبرنى :

حقاً تستطيع أن تعيش الآن حياة ناعمة هنيئة بغير حنان إيسمين ؟ ..

نرسيس : (**ينظر إليه طويلا**) هذا سؤال لم ألقه بعد على نفسي ! ..

بجماليون: هأنذا ألقيه عليك الآن ..

نرسيس : ليس الوقت الآن مناسباً للتفكير فى أحد غيرك أنت ، ولا فى شيء غير صحتك وما أنت فيه ! ..

بجماليون: (**يعود إلى الإطراق**) أصبت ! ...

نرسيس : (**يتحرك**) إنى ذاهب أحضر إليك الماء !..

بجماليون: إنها لحماقة وثرثرة وهُراء ! ...

نرسيس : (**يقف ، ويلتفت إليه**) ماذا ؟ ..

بجماليون: هذا الذى نتحدث فيه الساعة ! .. لكأنك لا تجد أشياء عالية المعنى خالدة القيمة تحادثنى فيها الآن ! ..

نرسيس : أنا الذى لا يجد .. أو أنت الذى لا يريد أن يتكلم منذ أيام فى غير هذا الضرب من الحديث ! ..

بجماليون: كل ذلك من أجلك أيها الفتى الطائش ! ..

نرسيس : من أجلى أنا ؟ ..

بجماليون: من واجبى أن أصلح ما بينك وبين إيسمين ! ...

نرسيس : إنى أراك تحمل نفسك واجبات لم يكلفك بها أحد ! ..

بجماليون: (صائحاً) نرسيس ! .. نرسيس ! ... إنى ... لم أعد أحتمل كبرياءك ؟..

نرسيس : ولماذا أحتمل أنا كبرياءك ؟ .. أنت الذى يحرِّم علىّ التدخل فى شئونه ، ويبيح لنفسه التدخل فى شئونى ... ومع ذلك لست أضيق بهذا ... ولا أجد فيه غضاضة ولا حرجا .. لأنى أفهمك وأرثى لك ...

بجماليون: ترثى لى ؟..

نرسيس : أجل يا بجماليون ! .. ليس من العسير على طفل أن يفطنَ إلى العاصفةِ التى تهُز أضلاعك ؛ كما تهز الريح هذه الأشجار ، ولكنك تتحامل وتتماسك ؛ كالدوحة العتيقة فى مستهل الخريف !! ..

بجماليون: آسف يا نرسيس ! .. إنى قد قسوتُ عليك ..

ولكن !.. إنى لست دوحة عتيقة .. كلا .. إنى ! ..

(تهب الريح من النافذة بشدة)

نرسيس : يحْسُن أن نغلق هذه النافذة ! ..

بجماليون: لا .. لا تغلقها الآن !.. لم يأن الأوانُ بعد ..

نرسيس : أخشى عليك برد الليل ..

بجماليون: إنى أتحمل دائماً برد الليل ..

نرسيس : كنت أعتقد ذلك من قبل ! .. لكن .. مع الأسف ! ..

بجماليون: إنك يا نرسيس لم تعد تصدقنى !..

نرسيس : ما أنت فيه الآن خير دليل ! ..

بجماليون: و لم تعد تؤمن بى ..

نرسيس : أنت نفسكِ لم تعد تؤمن بنفسك ..

بجماليون: كفى ! ..

نرسيس : كل شيء فيك الآن ينطق صائحاً ! ..

بجماليون: لا تقل شيئاً .. لا تقل ..

نرسيس : أرأيت ؟.. إنك تخاف أن أفتح فمى .. اطمئن .. لن

أفعل إشفاقاً بك وعطفاً عليك ! ..

بجماليون: اذهب عنى ! ..

نرسيس : وهل فى مقدورى أن أذهب عنك ؟ ..

بجماليون: إيها المفتون !.. إنى أبغض الآن سماع صوتك ..

نرسيس : سألزم الصمت لتتكلم أنت ..

(**لحظة إطراق** ... ...)

بجماليون: (**كالمخاطب لنفسه**) أتكلم أنا ؟! ..

نرسيس : نعم .. دعنى أسمع صيحات نفسك !..

بجماليون: (**فى صوت خافت**) وما النفع ؟ ..

نرسيس : أرأيت ؟ .. إن كلماتك لن تكون غير صدى كلماتى ! ..

بجماليون: آه أيها الشقى ! .. أيها الشقى !.. كيف أستطيع الخلاص منك .. أنت الذى أراه ماثلا أمام وجهى دائماً .. إنى إذ أنحنى على الغدير الراكد فى أغوار نفسى لأرى صورتى .. إنما أبصر صورتك أنت .. نعم .. أنت بزهوك الأجوف وكبريائك وحمقك

وعماك ! ... أنت الشطر الجميل العقيم من نفسي ... أنت الخطيئة التي كتب على كل فنان أن يحمل وزرها .. الافتتان بالنفس .. الافتتان بالذات ! ..

نرسيس : ولم لا ؟ .. أنت عبقرية خالقة .. بالفن صنعتَ حُسناً خالداً ! ..

بجماليون: (**همساً كالمخاطب نفسه**) تمثالها ! ..

نرسيس : لا .. ليس تمثالها .. إني أمنعك عن الكلام هكذا .. هذه المرة أنا الذي يحرم عليك ذكرها على هذا النحو .. ذاك حدث جاء ومضى ويجب أن تنساه .. حدث طارئ لا شأن لك فيه ! .. بل هو حلم من الأحلام المضحكة الزائلة .. إن ما تسميه « زوجتك الحية » لا وجود له إلا فى رأسك .. أما هذا التمثال العاجى فهو الحقيقة الباقية .. إنك لتفقد عقلك وفنك إذا أصررت على اعتبار هذا التمثال صورة لزوجة ميتة .. اخلع رداء « الأرمَل » الحزين الذى ترتديه سراً يا بجماليون !..

عـد إلى فـنك وارجـع إلى تمثـالك واحـــدب على
عملك ! .. انظر إليه الآن ؛ كما كنت تنظر إليه من
قبل .. انظر ..
(**يتجه نحو الستار** ... ...)

بجماليون: (**يشيح بوجهه**) لا ... لا أريـد أن أرى صورتها
جامدة متحجرة ! ..

نرسيس : صورتها ؟! ..

بجماليون: آه .. لقد اختلط الأمر فى رأسى :
أيهمـا الأصل وأيهمـا الصورة ؟! .. قـل لى يـا
نرسيس : أيهما الأجمل وأيهما الأنبل ؟ .. الحياة أم
الفن ؟ !..

نرسيس : ألم أقل لك إن كل شىء فيك الآن ينطق صارخا أنك ..
أنك تشك فى فنك ؟ .. لقد منعتنى الساعة من أن
أقولها .. فهأنتذا الآن الذى يتكلم ! ..

بجماليون: أجل يا نرسيس .. إنى أشك ..

نرسيس : لقد أدركت ذلك منذ رأيتك تتجنب رؤية التمثال ..

لقد مضت أيام دون أن تدنو منه ، أو تدع أحداً يزيح
عنه الستار ! .. انظر .. لقد تجمع التراب حول
قاعدته .. لا يجب مع ذلك أن نتركه هكذا .. أين
المكنسة ؟! ...

بجماليون: (**كالمخاطب لنفسه**) المكنسة ! ..

نرسيس : ماذا دهاك ؟ .. بم تهمس ؟ ..

بجماليون: (**ينهض بشدة**) إنى ذاهب ..

نرسيس : لا .. لن تغادر الليلة هذا المكان ! ..

بجماليون: إنى ذاهب ..

نرسيس : الريح تعصف .. لقد جرّ عليك الخروج ليلا ما وقعت
فيه من مرض .. لن تخرج الليلة .. سأحول بينك وبين
ذلك بكل قواى ! ..

بجماليون: الويل لمن يحاول منعى ! .. سأذهب إلى الكوخ شأنى
فى كل ليلة ... لا أستطيع أن أقضى الليل مع تمثال
جامد يذكرنى بجريمتى .. إنها تنتظرنى هناك .. شأنها
فى كل ليلة ! .. زوجتى .. زوجتى .. آه .. إنى

قاتل زوجتى !..

نرسيس : أيها المسكين ! .. لا تقل ذلك ! .. كل هذا أيضاً من صنع خيالك ! ..

بجماليون: اسكت أيها المجنون ! ..

نرسيس : أنا المجنون ؟! .. ماذا أفعل الآن ؟ .. أصغ إلىّ يا بجماليون .. دعنى أذهب معك .. الظلام الليلة حالك ، والرياح تزأر فى الغابة ، وأنت على ما بك من الضعف .. ربما احتجت إلى ساعدى يعينك على السير !

بجماليون: (**صائحاً**) لا .. لا يذهب معى أحد .. إنى أذهب إليها بمفردى ..

نرسيس : (**يائساً**) اذهب إذن ! ..

(بجماليون يتدثر بدثار ثقيل ويخرج من باب الدار ...)

نرسيس : (**يفكر لحظة ثم يتحرك سريعاً**) هذا المخبول سيحتاج إلىّ ! ..

« يخرج فى إثر بجماليون ... »

(فاصل موسيقى)

(يظهر أپولون وڤينوس فى النافذة ثم يقود أپولون ڤينوس من يدها إلى داخل الدار ...)

ڤينوس : وبعد يا أپولون ؟! ... ألن تكف عن المجىء بى هنا كل ليلة ! ..

أپولون : لا أستطيع أن أقضى الليل دون أن ألقى نظرة على هذا التمثال ! ..

ڤينوس : لكأنى ما أعدته أخيراً إلى حاله هذا إلا من أجلك أنت ..

أپولون : لقد كانت خسارة كبرى لو أنه ظل امرأة حية ، ولا شىء غير امرأة حية ؛ كألوف الألوف من النساء ! ..

ڤينوس : يا للعجب ! .. إن صاحبه لا يقول ذلك الآن ! ..

أپولون : إنه مريض ! ..

ڤينوس : إنه يهرب منه كل ليلة كما ترى ..

أپولون : (**يرفع الستار ويتأمل التمثال**) انظرى كيف تخيل

هذا ؟ .. كلما تأملته انتشيت عين النشوة ! .. أيُّ حلم بشرى يغمرنا بروعته نحن الآلهة !..

ڤينوس : أما بجماليون .. فإن الحلم الذى يغمره الآن هو شبح زوجته الحية ! ..

أپولون : واأسفاه ! ..

ڤينوس : لماذا تأسف ! .. هذا ما كان يجدر أن نغتبط له .. أنسيت تحديه لنا وتهجمه على مقامنا .. أنسيت كبرياءه الوقحة فى مخاطبتنا ، وصيحاته المهينة التى ألقى بها فى وجوهنا ؟ ... أنسيت ! ..

أپولون : (**فى غير اكتراث وهو يتأمل التمثال**) نعم.. نسيت ..

ڤينوس : إنك تنسى دائماً .. أما أنا فلا أنسى ..

أپولون : هذا ايضاً فى طبيعتك ..

ڤينوس : يدهشنى كيف امحى من ذهنك — على الأقل — قوله صارخا : يا سكان أولمب .. فى إمكانى أن أقيس قامتى إلى قامتكم .. سلاحكم الحياة وسلاحى الفن ..

خذوا عملكم الفانى المحدود وأعطونى عملى العظيم الخالد ! ..

أپولون : (**وهو ما زال يتأمل التمثال**) أهو قال ذلك ؟.. لو كان قاله فقد أصاب ! ..

ڤينوس : ويحك يا أپولون .. ويحك ! .. لماذا يحلو لك دائماً أن تخذلنا مع البشر .. إن الساعة الآن ساعتنا .. إنه الآن يقر بأن الحياة أجمل من الفن .. إنه لا يستطيع أن يبتعد عن ذلك الكوخ الذى بعثت إليهما فيه كوبيد يرشق جسديهما بكل ما عنده من سهام .. ويشعل قلبيهما بما يملك من ضرام .. وينثر على فراشهما كل أزهاره ومتعه ولذاته ومسراته .. إنه الآن يعترف بأن الحياة أنبل من الفن .. فيرى المكنسة التى كانت فى يد زوجته الطيبة الرحيمة ، أرفع معنى من لفتة تمثاله المتعالية ! .. إنه الآن يكاد يخر على ركبتيه كالدوحة المتداعية ، وكل شيء فيه ينطق صائحاً :

لقد انهزمت ! ..

أبولون : ألن تكفىّ عن ذكر الهزيمة والانـتصار أيتها المرأة .. عفوا ... أيتها الإلهٰة ! .. لست أرى الأمر كما ترين يا ڤينوس ! .. تأملى التمثال .. إنى الآن أدرك أن كل ما وضعنا نحن فيه قد أفسده حقاً وأخرجه عن نطاق الفن! .. هو الآن كذلك .. آية فنية .. لقد صدق .. إننا معشر الآلهة قد نستطيع الإتيان بكل المعجزات .. إلا الفن .. تلك معجزة الآدمى العبقرى وحده ! ..

ڤينوس : (**تهتز غيظاً**) وبعد ؟ .. وبعد ؟ ..

أبولون : لا شىء .. كما ترين .. يظهر أن كلا منا ينحنى الآن أعجاباً أمام عمل الآخر !... هذا كل ما فى الأمر .. لا أقل ولا أكثر ! ..

ڤينوس : هكـذا تحرمنـا أنت ثمرة انتصارنـا فى اللحظـة الأخيرة ؟! ..

أبولون : بئس هذا الانتصار على الوجه الذى تفهمين .. ومع ذلك لم يسقط بعدُ صريعاً .. إنه جريح .. والشك

يُدمى نفسه !.. لكن .. ليس لأحد أن يزعم أنها النهاية .. والآن يا ڤينوس .. هل لكِ فى أن تمنحينى لحظة صمت كى أتأمل التمثال فى هدوء وسلام ؟ ..

ڤينوس : متى تشبع من النظر إليه ! .. لكأنك الليلة تريد أن تملأ به روحك ..

أپولون : أخشى أن يرتكب بجماليون حماقة ! ..

ڤينوس : أتحس ذلك ..

أپولون : وأنتِ ؟ ..

ڤينوس : أنا أيضاً أحس أن شيئاً سيقع الليلة ! ..

أپولون : إن لـ بجماليون عندى منزلة كبرى .. إن مَن كان مثله يا ڤينوس ليستحق أن يغتفر له عيبه وزلاته وضعفه وهناته ..

ڤينوس : صه .. إنه قادم ! ..

أپولون : لم يستطع المسكين أن يبلغ الكوخ ! ..

ڤينوس : لقد عاد به صاحبه من منتصف الطريق ! ..

أپولون : إنه يكاد يحمله حملا ! ..

ڤينوس : هلم بنا ! .. هلم بنا ! ..

أپولون : لا ننصرف حتى نرى .. ابِقَىْ معى خلف النافذة ! ..

(فاصل موسيقى)

(يقودها ويخرجان من النافذة ويبقيان خلفها يشاهدان ...)

(يفتح باب الدار ويدخل نرسيس وهو يسند بجماليون إلى صدره بينما صفير الريح يستمر ، وحفيف الأشجار يسمع ... ...)

نرسيس : (**يجلس بجماليون على المقعد**) فلنخلع عنك أولا هذا الرداء الذى تلطخ بالأوحال ..

(يخلع عنه الرداء الثقيل .....)

بجماليون: (**وهو يلهث من التعب**) لماذا عدت بى ؟ ..

نرسيس : أكنت تريد منى أن أدعك فى الطين وقد سقطت إعياء ؟! ..

بجماليون: كان ذلك خيراً لى ! ...

نرسيس : أهذا كلام عاقل يا بجماليون ؟ .. أنك هنا الآن فى

دارك على الأقل .. حولك أسباب الراحة .. انتظر حتى أوقد لك ناراً ! ..

بجماليون: لا .. لست أريد شيئاً ! ..

نرسيس : وأخيراً ؟ .. هل أقنط من حالك ؟ .. ثق أنى أوشك أن أزمع الانصراف عنك وتركك وحدك ! ..

بجماليون: تحسن صنعاً لو فعلت ! ...

نرسيس : إنى لأكاد أجن ! ..

بجماليون: دعنى يا نرسيس ! .. دعنى ..

نرسيس : أخشى .. أن ..

بجماليون: لا .. لا تخش أن أغادر الدار الآن ..

نرسيس : وإذا احتجت إلىّ ؟ ..

بجماليون: لا أظن أنى أحتاج إليك ! ..

نرسيس : إنى ذاهب إذن ... (**كالمخاطب لنفسه**) ولكن سأبقى على مقربة منك ! ..

(**يخرج من الباب المؤدى إلى داخل الدار** ....)

بجماليون: (**ينظر إلى التمثال**) هأنذا معك أيها التمثال ! .. فلماذا

أحس أني وحيد ؟ ... هذه الوحشة معك لم أشعر بها قط من قبل .. لقد كنت أيها الأثر الفنى تملأ علىَّ هذه الدار ! .. لقد كان فنى يملأ حياتى .. أما الآن فكل شىء فى حياتى فراغ .. وكل شىء فى عينى هباء .. ماذا أصنع ؟ .. كيف أصنع ؟ ..

(**يضع رأسه بين كفيه ويبكى ...**)

ڤينوس : (**همساً لأپولون**) إنه لشقى تعس ؟ ..

أپولون : حقاً ..

ڤينوس : ألا ترى أن نفعل شيئاً من أجله ؟ ..

أپولون : عجباً ! ... يظهر أن منظر رجل يبكى أمرٌ يحرك قلب كل امرأة ... وإلٰهة ! ..

ڤينوس : ليس من العيب أن يكون لى قلب يتأثر ! ..

أپولون : بغاية السرعة ؟ ! ..

ڤينوس : ما رأيك يا أپولون لو نفخنا الحياة فى تمثاله هذا مرة أخرى ، وأعدنا إليه زوجته من جديد ؟! ..

أپولون : أتدرين مالذى يحدث لو فعلنا ذلك ؟ ..

فينوس : ماذا ؟ ..

أبولون : عين ما حدث فى المرة الأولى .. يقبل على جالاتيا الحية معجباً فى بادىء الأمر .. ثم لا يلبث أن يراها أقل جمالا وكمالا من جالاتيا العاجية .. فيطالبنا بردها كما كانت ، صائحاً فى وجوهنا بعين الألفاظ المهينة .. فإذا أعدنا إليه عمله الفنى ، هدأ لحظة ثم عاد يراه أقل جمالا وكمالا من الصورة الحية .. وهكذا دواليك .. لن يقر له قرار ، ولن يطمئن له بال .. فلا جمال الحياة يشبعه ، ولا جمال الفن يكفيه .. ولن يفتر عن ملاحقة الجمال والكمال فى شتى الأوضاع والصور ومختلف الأشكال والأحوال .. لا ينطفىء له ظمأ إلا بانطفاء الشعاع الأخير من نفسه القلقة الحائرة ؛ من أجل ذلك يا فينوس قلت لكِ كُفِّى عن ذكر الهزيمة والانتصار ... إن الحرب بيننا وبينه سجال دائما ! .. ولن يكون الأمر غير ذلك أبداً ! ..

فينوس : إذن لا ينبغى أن نصغى إليه ، ولا أن نرثى له إذا سكب

غزير الدموع .. فليتقلب على مضجع الوحـدة ، ولَيئِنَّ على فراشه البارد ، وليمزق بأسنانه الوسائد ، فلا يدفئه جسد حار لامرأة بالحب مضطرمة ! .. وليعش فى هذا النضال الدائم إلى أن يسقط بغير قبلة رحيمة ، على جبينه المتصبب بالعرق !..

أبولون : هو ذاك يا ڤينوس ! .. لقد رأينا من بجماليون ـــ على الأقل ـــ ما يقنعنا كل الإقناع : إنه يحسن بالآلهة ألا يتدخلوا على الإطلاق فى شئون العباقرة ! ..

ڤينوس : صه ! .. إنه ينهض وكأن فى رأسه فكرة ! ..

أبولون : أخشى أن ..

(بجماليون ينهض ببطء ويتمشى بخطا ثقيلة نحو التمثال ، ويتأمله لحظة ، ويهز رأسه يأساً .. ثم يأتى بالمكنسة فيضعها فى يد التمثال ويتأمله لحظة .. ثم ينتزعها فى عنف ، وينهال على رأسه تحطيما بالمقبض الصلب للمكنسة...)

بجماليون: (**صائحاً هائجاً وهو يضرب رأس التمثال**) لا ..

لا .. لا .. لم تعد مثالا لما ينبغى أن أصنع ! .. لم تعد مثالا لما ينبغى أن يكون ! ..

(**يفتح الباب الداخلى ويدخل نرسيس**)

نرسيس : (**صائحاً**) ماذا فعلت أيها الشقى ؟! .. ماذا فعلت أيها التعس ؟! ..

(**يرتمى على بجماليون ويدفعه إلى فراشه**)

بجماليون: (**ساقطا على فراشه**) أديت واجبى ...

نرسيس : (**يعود إلى التمثال فيجمع بقايا الرأس من الأرض**) لاريب أنك فقدت الصواب ! ..

بجماليون: سوف أصنع خيراً منه ! ..

نرسيس : (**وهو يحاول أن يضع بقايا الرأس مكانها من التمثال**) أنت ؟ .. متـــى ؟ .. أتحسبك الآن قديـــراً على شيء ؟! ..

بجماليون: (**يهدر هائجاً وهو ملقى على فراشه**) سوف أصنع خيراً منه .. فى صدرى أشياء سوف تخرج .. أشياء عظيمة فى جوفِي يجب أن تخرج ..

نرسيس : (**فى غيظ**) ليس هنالك الساعة شىء سيخرج غير روحك ! ..

بجماليون: ماذا تقول يا نرسيس ؟ ..

نرسيس : إنك انتهيت يا بجماليون ! ..

بجماليون: (**يحاول الاستــواء على فـــراشه**) اسكت أيها الأحمق !! .. لن أموت قبل أن أصنع تمثالا هو آية الفن الحق .. إنى حتى الآن لم أكن قد وضعت يدى على السر .. سر الكمال فى الخلق .. لقد أضعت حياتى فى الصراع .. صراع مع الفن لاستلاب مفتاحه وامتلاك الأسلوب .. وصراع مع ملكاتى وغرائزى أو القوى الداخلية التى هى نفسى .. وصراع مع المصائر والأقدار أو القوى الخارجية التى هى الآلهة .. صراع طويل صمدت له .. ومع هذا كله ..

(**كمن يكلم نفسه** ...)

أترى هذا الصراع كان ضرباً من العبث ؟! ..

إنى الآن أرى وأبصر وأعرف وأقدر .. لكن ..

لكن ..

نرسيس : (**فى قلق**) لكن ماذا يا بجماليون ؟ ..

(**بجماليون لا يجيب** ...)

ڤينوس : (**تهمس لأبولون**) هلم بنا ! ..

أبولون : أرأيت الحماقة التى ارتكبها ! .. ولكنهم هكذا دائماً يحطمون الجمال الذى يصنعون .. ليعيدوا بناءه من جديد ..

ڤينوس : متى ؟ .. ألا تراه يلفظ النفس الأخير ؟ ..

أبولون : نعم .. ولكن روحه باق .. روح بجماليون باق ما بقى فن على الأرض ! ..

ڤينوس : هلم بنا يا أبولون ! ..

أبولون : هلمى بنا يا ڤينوس ! ..

(**ينصرفان** ...)

بجماليون: (**فى صوت خافت**) نرسيس ! .. أظن أن .. أنك ..

نرسيس : ماذا يا بجماليون ؟! ..

بجماليون: إنك .. أنت على حق ...

نرسيس : إني كنت أمزح .. إنك بخير يا بجماليــون ! .. بجماليون أبي .. صديقي ..

بجماليون: (**في شبه حشرجة**) أحس البرد ! ..

نرسيس : أأغلق هذه النافذة !؟ ..

بجماليون: (**في حشرجة**) نعم .. لقد آن الأوان ! ...

الفهرس

